جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الخصوصيات المطّردة للأساليب في قصيدة حوار بين الشرق والغرب للشاعر محمد الأسمر

إعداد

د / محروس شحاتة أحمد حميد
مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الأول ٠٠٠ أبريل)
(الجزء الثاني (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

الخصوصيات المطّردة للأساليب في قصيدة حوار بين الشرق والغرب للشاعر محمد الأسمر

محروس شحاتة أحمد حميد
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، قنا، مصر.
البريد الإلكتروني: MahrousHemid.4119@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

جاء هذا البحث ليكشف عن جانب من بلاغة الأسمر في شعره، والخصوصيات التي استخدمها في أسلوب الحوار الذي أداره بين الشرق والغرب، وما دعّم به خصوصياته من أساليب بلاغية أظهرت ما يهدف إليه الحوار، وتعاونت مع كل خصوصية في تأدية المعني المقصود. وقد اتبع البحث في الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على عرض القصيدة كاملة، ثم تقسيم القصيدة إلى خصوصيات حسب ما تضمنته من معان، ثم عرض كل خصوصية في مبحث، ثم بيان المعنى العام التي تضمنته كل خصوصية، ثم استخراج ما في الخصوصية من أساليب دعّمت المعنى وقوّته وزادته حسنا واستدعت مكنون ما قصده الشاعر من غرض وقصد. والقصيدة كشفت عن دور الأساليب البلاغية التي شكّلها الشاعر في تدعيم الخصوصية التي هي صنعة المُبين في معناه. كما أظهرت الأساليب وقْع الخصوصية في التعرف على ذوق الشاعر في البناء، وحسّه في التركيب، وكيف استطاع أن يستنطق التراكيب، ويُخضع الصيغ، ومسالك البيان؛ حتى جاء بناء الكلمات وتركيبها؛ متناسبا مع خصوصية معناه. كما ساهمت الأساليب في تدعيم خصوصيات القصيدة وكشف أهدافه وصفاته التي يسعى من خلالها للقضاء على كل أبناء الشرق؛ ومن ثم وجب أن ينتبه أبناؤه.

الكلمات المفتاحية: الخصوصيات، المطّردة، للأساليب، قصيدة، حوار، الشرق والغرب، الأسمر.

The steady specificities of methods in the poem of the East-West dialogue of the poet Mohammed Al-Asmars

Mahrous Shehata Ahmed Hamid

Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys, Al-Azhar University, Qena, Egypt

Email: *MahrousHemid.4119@azhar.edu.eg*

Abstract

This research came to reveal part of the tan's rhetoric in his hair, the specificities he used in the East-West dialogue, the rhetorical methods he supported his specificities that demonstrated the purpose of the dialogue, and cooperated with every privacy in the performance of the intended subject. Research in the study followed the analytical inductive approach based on the presentation of the poem in its entirety, the division of the poem into specificities according to its meanings, the presentation of all privacy in a research, the statement of the general meaning contained in each specificity, and then the extraction of the privacy methods that supported the meaning and its strength and increased it well and called for the purpose and intent of the poet. The poem revealed the role of the poet's rhetorical methods in consolidating the specificity that is the work of what is expressed in its meaning. The methods also demonstrated the fact that the poet's taste for construction was recognized, his sense of composition, how he was able to derive compositions, subjugate formulas and subordinate the trajectory of the statement; Even came the construction and installation of words; Proportionate to the specificity of its meaning. The methods also contributed to strengthening the particularities of the poem and exposing its objectives and qualities, through which it seeks to eliminate all the people of the East; Hence, his children's attention must be paid.

Keywords: *Idiosyncrasies, Steadily, Styles, Poem, Dialogue, East And West, Brown.*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعـــــد:

فإن جوهر العمل البلاغي هو تفقّد الأبنية الشعرية ودراستها دراسة بلاغية، فالشعر هو معدن البلاغة، وعليه المعوّل فيها، وهو كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني" مَجْني ثمرِ العقولِ والألبابِ، ومجتمَع فِرَقِ الآدابِ، والذي قيَّد على النّاسِ المعاني الشريفةَ، وأفادَهُم الفوائدَ الجليلة، وترسَّل بينَ الماضي والغابرِ يَنقل مكارمَ الأخلاق إلى الولدِ عن الوالد، ويؤدِّي ودائعَ الشَّرف عن الغائب إلى الشَاهد، حتى تَرى به آثارَ الماضين مخلَّدةً في الباقين، وعقول الأَوَّلين مردودةً في الآخرين، وتَرى لكلَّ مَن رَام الأدبَ، وابتغَى الشرفَ، وطلبَ محاسنَ القولِ والفعْل، مناراً مرفوعاً، وعِلْماً مَنصوباً، وهادياً مُرْشداً، ومُعلماً مسدِّداً، وتجدُ فيه للنَّائي عن طَلبِ المآثر، والزّاهِدِ في اكتسابِ المحامدِ، داعياً، ومُحرَّضاً، وباعثاً ومحضَّضاً، ومذكرًا ومعرفًا، وواعظًا ومثقفا" . [1]

والمتأمل في التعبيرات الجيدة والأساليب الراقية يدرك موطن الجمال بها، فينمو بذلك ذوقه، وترقي أحاسيسه، وتسمو مشاعره، يقول شيخ البلاغيين أ. د. محمد أبو موسى" والدراسة التي تجعل أبنية الشعر أساسا لها، ثم تهتدي بكلام العلماء في تصنيفها وتوصيفها؛ دراسة جليلة؛ لأنها تمد الدراسة البلاغية بصيغ جديدة، فتغزر

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. الشيخ. محمود شاكر، صـ ١٥، ١٦، طبعة/ مطبعة المدني ، القاهرة، طبعة/ ثالثة ١٩٩٢م.

المادة البلاغية وتتنوع، وتكون أقدر على استيعاب ما في النصوص من عناصر ذات تأثير" . (١)

ونظرا لأهمية الشعر وكونه مجني ثمر العقول والألباب؛ فقد جعلت بحثي هذا- الخصوصيات المطردة للأساليب في قصيدة حوار بين الشرق والغرب للشاعر محمد الأسمر- في نطاق الشعر، وقد وقع اختياري على هذا الشاعر الحديث؛ لجودة شعره، ولمعايشة الشاعر لأحداث بلاده، وتصويرها في أسلوب شعري بديع.

فالشاعر الأسمر من جيل الشعراء الذين بدؤوا مشوارهم الإبداعي في ظل واقع زاخر بالأزمات السياسية والاجتماعية، فهو شاعر مصري" عاش في الفترة فيما بين سنة ألف وتسعمائة حيث ولد، وفيما بين عام ستة وخمسين وتسعمائة بعد الألف حيث رحل إلى الرفيق الأعلى، وهو فيما بين ولادته ووفاته يعيش في جو من الأحداث السياسية البالغة الصعوبة" . (٢) وهي الفترة التي كانت تعاني فيها مصر والبلاد العربية تحت وطأة الاحتلال الغربي بكل ممارساته العنصرية تجاه الشرق وأهله، وقد تفاعل الأسمر- بكل قوة - مع تلك الأحداث، بل إنه جرد نفسه للدفاع عن العروبة وأهلها، وكشف الوجه القبيح للاحتلال الغربي بكل ما جُبل على هـ من كراهية للجنس العربي كله.

فالشاعر محمد الأسمر ركّز كل تركيزه حول أحوال الوطن العربي في ذلك الوقت، فاتجه إلى تصوير الأحداث التي تمر بها البلاد في أسلوب شعري جميل؛ فجاء ديوانه" بين الأعاصير" ليكون بمثابة تصوير لكل الأحداث التي مر بها الوطن العربي.

---

(١) دراسة في البلاغة والشعر، أ. د . محمد أبو موسى، صـ ١٨، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٩١م.

(٢) محمد الأسمر شاعرا وناثرا، رسالة دكتوراه للباحث. بليغ محمود عبد الرحمن عرفة، صـ١، إشراف. أ. د. محمد كامل الفقي، كلية اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٦ م.

وعلى الرغم مما بذله هذا الشاعر من جهد في هذا الديوان، وما احتوى عليه الديوان من أشعار لها ما لها من المزية والفضل؛ إلا أنه لم ينل الجانب المناسب من الدراسة والبحث؛ لذا اختار البحث شعر هذا الشاعر؛ لنتعرف على عبقريته الشعرية وقوته وخياله وعاطفته وأسلوبه... وكل الأمور التي تُخرج لنا شعرا جيدا محكما خاليا من العيوب؛ وسيتم ذلك من خلال إحدى قصائد هذا الديوان، وهى بعنوان" حوار بين الشرق والغرب" .

ومن هنا جاء هذا البحث ليكشف عن جانب من بلاغة الأسمر في شعره، وقد آثر البحث أن تكون الدراسة في شعر الأسمر مقتصرة على الخصوصيات المطّردة للأساليب في قصيدة حوار بين الشرق والغرب؛ فقد جاءت القصيدة في أسلوب حوار أداره الشاعر بين الشرق والغرب، استعان فيه ببعض الخصوصيات، ودعّمها بالعديد من الأساليب البلاغية التي أظهرت ما يهدف إليه الحوار، وتعاونت مع كل خصوصية في تأدية المعني المقصود.

وقد اتبع البحث في الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على عرض القصيدة كاملة، ثم تقسيم القصيدة إلى خصوصيات حسب ما تضمنته من معان، ثم عرض كل خصوصية في مبحث، ثم بيان المعنى العام للأبيات التي تضمنتها كل خصوصية، ثم عرض التحليل واستخراج ما في الخصوصية من أساليب دعّمت المعنى وقوّته وزادته حسنا واستدعت مكنون ما قصده الشاعر من غرض وقصد.

هذا: وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد، وأربعة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

المبحث الأول: خصوصية الإنكار. **المبحث الثاني:** خصوصية الإقناع.

المبحث الثالث: خصوصية التلطف. **المبحث الرابع:** خصوصية التهديد.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

وفيه إطلالة على مفردات البحث ـ معني الخصوصية ـ معني الاطراد البلاغي ـ خصوصية معاني القصيدة وفكرتها ـ حول الشاعر ـ عرض القصيدة كاملة.

أولا ـ معني الخصوصية: " الخصوصية يستخدمها علماء البلاغة ويريدون بها صنعة المُبين في معناه، وكيف يُصَير المعني العام المشترك الملقي على قارعة الطريق؛ معني ذا خصوصية متميزة؛ فينسب إليه ويضاف له" . (١) يقول الإمام عبد القاهر وهو يناقش القول برجوع المزية إلى اللفظ ويرفضه" وقد علِمْنا أنَّ أصْل الفسادِ وسبَبَ الآفةِ، هو ذهابهُم عن أنَّ مِن شأنِ المعاني أن تَختلِفَ على ها الصورُ، وتَحدُثَ فيها خواص ومزايا من بعد أن لا تكون" . (٢) ويقول أيضا" لا يَعْنونَ بحُسْنِ العبارةِ مجَّردَ اللفظِ، ولكن صورة وصفة وخصوصية تحدُثُ في المعنى" . (٣)

والبحث ينظر إلى الخصوصية من حيث هي صنعة المُبين في معناه أولا، ثم وقْع تلك الخصوصية مع الأساليب البلاغية التي شكّلها وتخيرها الشاعر، والتعرف على ذوقه في البناء، وحسّه في التركيب، وكيف استطاع أن يستنطق التراكيب، ويُخضع الصيغ، ومسالك البيان؛ حتى جاء بناء الكلمات وتركيبها؛ متناسبا مع خصوصية معناه الذي يقصده.

ثانيا ـ معني الاطراد البلاغي: أولا- الاطراد في اللغة يدور حول" الاستمرار والتتابع ، من ذلك طردت الطريدة إذا اتبعتها واستمرت بين يديك، ومنه مطاردة الفرسان بعضهم بعضا، ألا ترى أن هناك كرا وفرا، ومنه اطرد الجدول إذا

---

(١) الخصوصيات البلاغية في رسائل أبي العلاء الإخوانية، للباحثة. نداء ثابت العرابي الحارثي، صـ د، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية ٢٠٠٣م.

(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. الشيخ. محمود شاكر، صـ ٤٨١.

(٣) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. الشيخ. محمود شاكر، صـ ٤٨٤.

تتابع ماؤه بالريح، ثم قيل بعد ذلك في الكلام والأصوات على سمته وطريقته، فجعل أهل علم العرب ما استمر في الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردا".(١)

ثانيا- الاطراد في البلاغة" هو أن تأتي بأسماء الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك" . (٢)

وهناك الاطراد المطلق الذي" لا يتوقف عند حد، ولا يتقيد بقيد، بل هو كالقانون العام الذي يحكم اللغة، ومن ثم يجعله الإمام إنساني السمت، عالمي المذهب... ، فهو قائم بين كل جيل وأمة ... ومتداول بين كل لسان ولغة ... وهذا في الأمور المشتركة العامة التي هي مقاييس شائعة... وهذا كثير في الأحكام العامة عند عبد القاهر، والتي لا تختص بها لغة دون أخرى، كما تراه في تقرير حقيقة تصور معاني الكلام فيما بين شيئين، وأن المعني مستفاد من بين الكلام، مفهوم من الإسناد" (٣) ثم يقول بعد ذلك" فليس في الدنيا خبرٌ يعرفُ من غيرِ هذا السبيلِ، وبغيرِ هذا الدليلِ، وهو شيء يعرفُه العقلاء في كل جيل وأمة، وحكمٌ يجري عليه الأمرُ في كلِّ لسان ولغة" . (٤)

والمقصود في هذا البحث من الاطراد؛ هو تتابع النظم، واستمرار البناء على طريقة معينة بين الأبيات، بحيث تشير الأبيات وتشترك في خصوصية بعينها، ومن ثمّ يتلاءم الاطراد مع الغرض والسياق، ومع التشكيل والتلازم الذي حدث بين

---

(١) الخصائص لابن جني، تحقيق. محمد علي النجار ١/ ٩٦، ٩٧ ، طبعة/ عالم الكتب بيروت.

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، أ. د. عبد المتعال الصعيدي ٤/ ٦٣٥، طبعة/ مكتبة الآداب، طبعة/ السابعة عشر ٢٠٠٥م.

(٣) الاطراد عند عبد القاهر الجرجاني في" دلائل الإعجاز" بين القاعدة والنص، أ. د. علي عيسي، صـ ٨، بحث ترقية بكلية اللغة العربية بأسيوط.

(٤) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. الشيخ. محمود شاكر، صـ ٥٤٢.

الأساليب ومجيئها على نسق معين داخل السياق، ونظْمها على طرائق ومسالك متتابعة، وبعد استقصاء اللغة وطرائق التعبير واقتران الأساليب بعضها ببعض يتحقق وجه الاطراد الذي يتلاءم مع السياق الدقيق.

ثالثا ـ خصوصية معاني القصيدة وفكرتها: القصيدة نظمها الشاعر وأدار فيها حوارا ومناظرة بين الشرق والغرب، وقد اختار الشاعر للقصيدة عنوان" حوار بين الشرق والغرب" ولقد ضمّ الحوار في أجزائه العديد من الخصوصيات التي يمكن من خلالها تقسيم القصيدة، كما احتوى مضمون القصيدة على العديد من الصفات التي يتميز بها كل من الشرق والغرب، كما أنها كشفت العديد من الأسرار الخاصة بالغرب والتي ينبغي أن ينتبه إليها البشر على وجه العموم، والشرق على وجه الخصوص.

والقصيدة تزخر بخصوصيات عامة تضمّنها الحوار، فمنها الإنكار الذي غلب على الشرق في محاورته مع الغرب، ومنها الإقناع الذي قصد الغرب أن يستدرج به الشرق، ومنها التلطف في الرد ومراعاة آداب الحوار التي تكون بين المتحاورين، ومنها التهديد الذي وجّهه الغرب إلى الشرق؛ ومن ثم استدعي ذلك أن يرد الشرق عليه.

فالشرق اتجه في محاورته إلى إنكار أفعال الغرب الذي لم يرع الود، ولم يحفظ حق، ولم يتصف بأخلاق في أفعاله، ولم يتسم بالإنسانية التي يدعو الشعوب لها. كما أظهر الشرق العديد من الأمور النافعة التي قدّمها للغرب؛ في محاولة منه أن يُقنع الغرب حتى يكُف عن أفعاله السيئة، أما الغرب فقد سلك مسلك التلطف مع الشرق في بداية الحوار، ثم ما لبث أن أظهر صفاته وحقيقته الماكرة الخبيثة؛ فأظهر المزيد من التهديدات التي دعت الشرق أن يتصدى ويقف له ويحذّره من هذه التهديدات التي يمارسها.

وقد جاءت الدراسة لتضيء عن الأبعاد الجمالية التي تضمنتها تلك الخصوصيات، والأساليب التي دعّمتها، والأسرار التي تضمنتها الأساليب، والأثر الذي تركته داخل تلك الخصوصيات.

رابعا ـ الشاعر محمد الأسمر حياته وشعره: ولد الشاعر" محمد الأسمر في مدينة دمياط إحدى مدن مصر التاريخية وكان ميلاده في يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رجب عام ألف وثلاثمائة وثمانية عشرة الموافق السادس من نوفمبر سنة ألف وتسعمائة" . (١)

لقب الأسمر: وفي تعليل لقب الأسمر كتب عبد الحميد فهمي مرسي صديق الشاعر في مقدمته التي كتبها في ديوان الأسمر، يقول: " قلت له في يوم من الأيام: إنك أبيض الوجه، فما لقب الأسمر هذا؟؟ !! فقال لي: إن علماء البلاغة يسمون هذا التمليح ـ من الملاحة ـ وأما إذا عكست وسميت صاحب اللون الأسمر بالأبيض فهو عندهم التهكم. وقال لي: إن من الصحابة رضوان الله عليهم من كان يعرف بالأسمر والأسود، وقال: إن لقب الأسمر موجود بالبلاد المغربية وببلاد الشام. ثم قال: إنه فيما مضى قدم من مراكش إلى دمياط ـ بلد الشاعر ـ رجل من كرام الرجال هو فاتح بن عثمان الأسمر (٢) التكروري، ... وهو المعروف عند الدمياطيين وفي البلاد المجاورة لدمياط باسم أبي المعاطي" . (١) فلقب بالأسمر نسبة إلى هذا الرجل.

---

(١) ديوان بين الأعاصير للشاعر. محمد الأسمر، صـ ٨، طبعة/ دار الفكر العربي شركة فن للطباعة، القاهرة.

(٢) هو فاتح بن عثمان الأسمر التكروري، قدم من مراكش إلى دمياط وسقى بها الماء في الأسواق احتسابا من غير أن يتناول من أحد شيئا، وكان من المتصوفة الزهاد، توفي سنة ٦٩٥هـ ودفن بجوار الجامع وقبره يزار إلى يومنا هذا. ينظر. ترجمته في: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط ←←←

أثر البيئة في شاعريته: كتب الأستاذ قاسم مظهر في بعض المجلات المصرية في باب أدباؤنا في المرآة فقال" تحت سماء دمياط الساحرة، وعلى أرضها الضافية الجمال، حيث تطل برأسها من نافذة البحر الأبيض المتوسط، وتمتد بجسمها الغض على ضفاف النيل .... في هذه البلدة الوديعة الساكنة ولد شاعر الأزهر النابغ الأستاذ محمد الأسمر، وقد استمد من جمال بلدته وخصوبتها دماثة الخلق، ووداعة النفس، وطيبة القلب، وخفة الروح، ووسامة الوجه وبشاشته" . (٢)

فالشاعر نشأ في رحاب دمياط ورأس البر حيث النيل الصامت المتزن، وحيث البحر الأبيض المتوسط الخصب، وقد انعكس أثر بيئة الجمال هذه في شاعريته لترى فيها رقة العاطفة، وقوة الإحساس، والتأثر بمن حوله، والميل إلى الاعتدال والهدوء، كأنه النيل في وقاره واتزانه، وتراه ثائرا صادعا بالحق في صراحة وإخلاص، كأنه البحر في هياجه وصخبه.

والشاعر الأسمر من جيل الشعراء الذين بدؤوا مشوارهم الإبداعي في ظل واقع زاخر بالأزمات السياسية والاجتماعية، فهو شاعر مصري" عاش في الفترة فيما بين سنة ألف وتسعمائة حيث ولد، وفيما بين عام ستة وخمسين وتسعمائة بعد الألف حيث رحل إلى الرفيق الأعلى، وهو فيما بين ولادته ووفاته يعيش في جو من الأحداث السياسية البالغة الصعوبة" (٣) ، وهي الفترة التي كانت تعاني فيها مصر والبلاد

→→→

والآثار المعروف بالخطط المقريزية. لتقي الدين أحمد بن على المقريزي. جـ١ صـ ٤١٤. طبعة/ دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة/ أولي ١٤١٨هـ.

(١) ديوان الأسمر للشاعر. محمد الأسمر، صـ ز، طبعة/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

(٢) ديوان الأسمر، صـ هـ .

(٣) محمد الأسمر شاعرا وناثرا، صـ ١، رسالة دكتوراه للباحث. بليغ محمود عبد الرحمن عرفة.

العربية وطأة الاحتلال الغربي بكل ممارساته وأفاعيله العنصرية، ومحاولة السيطرة والهيمنة على الشرق وأهله.

وقد تفاعل الأسمر ـ بكل قوة ـ مع تلك الأحداث؛ وليس أدل على ذلك من أنه قد سمى المجموعة الشعرية الأخيرة له باسم" بين الأعاصير" وقد قال في التمهيد لها معللا لتلك التسمية" حينما أخرجت في سنة ١٩٥٠م مجموعة شعري المعروفة باسم" ديوان الأسمر" كنت أظن أنني لن أقول بعدها شعرا لاعتلال صحّتي، ولما أعانيه في نظْم الشعر، ولكنني وجدت نفسي مسوقة بفطرتها إلى نظم ما نظمته بعد ذلك حتى تكونت هذه المجموعة، والأعوام التي نظمت فيها هذه المجموعة كانت صحّتي فيها معتلة، وكان الشرق يموج فيها بالحوادث السياسية والاجتماعية وبالعواصف التي يدبرها ويثيرها في العالم العربي الاستعمار والمستعمرون، لهذا سميتها بين الأعاصير". (١)

وهذا يدل على حس الشاعر المرهف، وشعوره الصادق وتأثره بالأحداث العنصرية، والممارسات البغيضة التي تمارس ضد أبناء عروبته، ومن ثم كان لزاما عليه كشاعر ممتلك الأدوات أن يفيض بما في نفسه من زفرات وآلام وجراح وعاطفة مشتعلة، وأن يصدع بكلمة الحق مُنكرا ومدافعا.

مؤلفات الأسمر(٢) :

١ـ تغريدات الصباح، وهي أول مجموعة شعرية للأسمر، وقد كتب مقدمة هذه المجموعة أنطون باشا الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام، وعدد صفحاتها ٢١٦، طبعتها على نفقتها ونشرتها دار المعارف بالقاهرة.

---

(١) ديوان بين الأعاصير للأسمر، صـ ٣.

(٢) ديوان بين الأعاصير للأسمر، صـ ٣٥.

٢ـ ديوان الأسمر، وقد ظهر بعد تغريدات الصباح وجمع فيه الشاعر كل شعره حتى سنة ١٩٥٠م، وضمنه مجموعة تغريدات الصباح ووضع مقدمته صديقه القائم قام عبد الحميد فهمي مرسي، وعدد صفحات هذا الديوان ٦٧٨ صفحة. والناشر له دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

٣ـ ديوان بين الأعاصير، ويضم ما كتبه بعد ١٩٥٠م، ونشر بعد وفاته في ٢٥٠ صفحة بمقدمة من الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، والناشر له دار الفكر العربي شركة فن للطباعة بالقاهرة.

٤ـ مع المجتمع كتاب نثري ينقد فيه الأسمر أحوال المجتمع في أسلوب أدبي جذاب، وعدد صفحاته ١٩٢ صفحة، والناشر له دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

وفاتــه: توفي الشاعر محمد الأسمر في السابع من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ، وقد دفنه أهله حيث أوصى، دفنوه في دمياط مسقط رأسه، ومرتع صباه، وموطن سطوع نجمه في سماء الأدب.

خامسا ـ عرض القصيدة كاملة: حوار بين الشرق والغرب.

الشرق:

أخِي أيُّهَا الغَرْبُ مَاذَا جَرَى؟؟ وَأيْنَ الأُخُوّةُ بَيْنَ الوَرَى؟؟
فَهَلّا ذَكَرْتَ صِبَاكَ الّذِي مَضَى، وَذَكَرْتَ الأخَ الأكْبَرَا؟؟
أَلَمْ أعْطِكَ الدّينَ شمْسًا تُضِيء الـ مَسِيرَ، وَبَدْرًا يُنِيرُ السّرَى؟؟
أَلَمْ أعْطِكَ العِلْمَ غَرْسًا نَمَا لَدَيْكَ، وَأثْمَرَ مَا أثْمَرَا؟؟
أَلَمْ أعْطِكَ الفَنّ حَتّى نَحَتّ الـ صّخُورَ وَصَوّرَ مَنْ صَوّرَا؟؟

الغرب:

أخِي أيّهَا الشّرْقُ كُنْتَ الكَرِيمَ مَعِي، بَلْ تَجَاوَزْتَ حَدّ الكَرَمْ
وَأنْتَ أبُو الأنْبِيَاءِ الذِينَ أنَارُوا السّبِيلَ لِكُلّ الأُمَمْ
وَأنْتَ أقَمْتَ صُرُوحَ العُلُومِ وَلِلفَنّ أنْتَ رَفَعْتَ العَلَمْ
وَكَمْ شِيمَةٍ لَكَ مَحمُودةٍ لَهَا لَمَعَانُ نُجُومِ الظّلَمْ
تَعَلّمْتُ مِنْكَ الذِي قُلْتَهُ وَلَمْ أتَعَلّمْ حَمِيدَ الشّيَمْ
فَمَاذَا يُفِيدُ كَلَامُ الإلَهِ؟؟ وَمَاذَا تُفِيدُ عُلُومُ البَشَرْ؟؟
وَمَاذَا يُفِيدُ جَمَالُ الفُنُونِ؟؟ إذَا كَانَ طَبْعِي طَبْعَ النّمِرْ
كَثِيرُ الغُرُورِ، كَثِيرُ الشّرُورِ خَطُوفٌ، نَهُوشٌ، غَضُوبٌ، غُدَرْ
أُحِبّ الدّمَاءَ فَيَا لَيْتَهَا جَرَتْ بَيْنَ شِدْقَيّ جَرْيَ النّهَرْ
أقِيمُ الحُرُوبَ وَلَا أرْتَوِي وَلَا يَنْطَفِي ظَمَئِي المُسْتَعِرْ
أنَا نَمِرٌ يَا أخِي فَاتِكٌ فَكُنْ أسَدًا تَنْجُ مِنْ فَتْكَتِي
إذَا كُنْتَ مِثْلِي قَوِيًا فَأنْتَ أخٌ لِي تَحْذَرُهُ قُوّتِي
وَإنْ كُنْتَ أضْعَفَ مِنّي فَلَا أرَاكَ أخًا لِي بَلْ لُقْمَتِي

أخَافُ القَوِىّ فَأَمّا الضّعِيفُ فَلَسْتُ أرَاهُ سِوَى أكْلَتِي
أنَا أيّهَا الشّرْقُ وَحْشُ الوُحُوشِ فَوَيْلٌ لِمَنْ حَلّ فِي قَبْضَتِي
وَآيَاتُ عِلْمِي وَإنْ أعْجَزَتْ فَلَيْسَتْ بِوَحْي أتَى مِنْ عَلِ
وَلَكِنّهَا وَحْىُ شَيْطَانِ عَقْلٍ بِهِ يَبْتَلِى اللهُ مَنْ يَبْتَلِى
نَعِمْتَ بِهَا جَنّةٌ كُلّهَا ظِلَالٌ وَأنْتَ بِهَا تَصْطَلِي
أنَا الغَرْبُ يَا شَرْقُ كُلّ اخْتِرَاعِي لِوَضْعِكَ يَا شَرْقُ فِي المِرْجَلِ
فَعَنْدِي مِنَ العَقْلِ خَيْرُ العُقُولِ وَلَكِنْ أعِيشُ وَلَا قَلْبَ لِي

الشرق:

أخِي أيّهَا الغَرْبُ لَسْتَ النّمِرْ أفِقْ لَسْتَ إلّا شَقِيقًا سَكِرْ
فَصُلْتَ عَلَى الشّرْقِ وَحْشِ الوُحُوشِ تُزَمْجِرُ فِي بَدْوِهِ وَالحَضَرْ
وَأمْطَرْتَ أبْنَاءَهُ مِنْ يَدَيْكَ مَظَالِمَ مِنْ فَوْقِهِمْ تَنْهَمِرْ
فَهَبّوا وَقَدْ أشْرَقَتْ شَمْسُهُمْ تُبَدّدُ لَيْلَهُمْ المُعْتَكِرْ
وَكَانُوا نِيَامًا فَأيْقَظْتُهُمْ وَكُلّهُمْ جَمْرَةٌ تَسْتَعِرْ
أفِقْ أيّهَا الغَرْبُ إنّا صَحَوْنَا وَلَاحَ الصّبَاحُ وَبَانَ الطّرِيقْ
سَنَزْحَفُ نَارًا إلَى مَا أرَدْنَا أخِي لَا تَكُنْ فِي لَهِيبِي الحَرِيقْ
سَنَمْضِى بِحَارًا إلَى مَا ابْتَغَيْنَا أخِي لَا تَكُنْ فِي بِحَارِي الغَرِيقْ
أفِقْ أيّهَا الغَرْبُ إنّا انْتَفَضْنَا زَلَازِلَ تَغْشَاكَ حَتّى تَفِيقْ
فَتُبْصِرُ عَيْنَاكَ أنّ الأسِيرَ رَمَى قَيْدَهُ فَهُوَ حُرّ طَلِيقْ

المبحث الأول: خصوصيــة الإنــكار

الإنكار حالة من الانفعال والغضب والرفض تعتري المرء تجاه أمر لا يسكن إليه قلبه، ولا يقره ضميره، ولا تقبله نفسه، وقد تضمّنت تلك القصيدة في ثنايا أبياتها تلك الخصوصية في موضعين وردا على لسان الشرق.

الموضــع الأول: جاء في مُفتتح القصيدة على لسان الشرق ينادى الغرب مستنكرا أفعاله التي يفعلها، وممارساته التي يقوم بها، فقال:

أخِي أيُّهَا الغَرْبُ مَاذَا جَرَى؟؟ وَأيْنَ الأخُوّةُ بَيْنَ الوَرَى؟؟
فَهَلّا ذَكَرْتَ صِبَاكَ الّذِي مَضَى، وَذَكَرْتَ الأخَ الأكْبَرَا؟؟

ابتدأ الشاعر القصيدة بمطلع يتضمن نوعا من الإثارة والتشويق وجذب الانتباه لتحفيز النفوس وتفاعلها مع خصوصية الإنكار الصادر من الشرق.

ويلْحظ البحث أن الشاعر أسّس لخصوصية الإنكار؛ أسلوب الاستفهام وجعله أسلوبا رئيسا في التعبير، ثم أتى بما يدعم ويقوّي تلك الخصوصية من أساليب أخر، وقد صدّر المطلع بنداءين متتابعين على لسان الشرق وهو ينادي الغرب مستنكرا ومتسائلا عن أفعاله، فقال" أخِي، أيُّهَا الغَرْبُ" وحذف أداة النداء هنا فيه دلالة على التلطف والقرب اللذان يتلاءمان مع أسلوب المحاورة التي تحدُث بين الأخ وأخيه، وهذا يكشف عن أخلاق الشرق، والتزامه بآداب الحوار رغم استنكاره لأفعال الغرب.

وتصدير الأسلوب بالنداء يعد صياغة جيدة من الشاعر، ويتلاقي مع خصوصية الإنكار؛ لما يحمله النداء من الإيقاظ والتنبيه اللذان يهيئان للأسلوب الاستفهامي ـ الذي ورد بعدهما ـ وما يحمله من طاقات الإنكار وشحناته، فيقع الإنكار ـ حينئذ ـ موقعا حسنا. ولهذا" فإن الشاعر يعبر عن أفكاره تعبيرا متميزا، عن طريق ما يحدثه في الأفكار من صياغة خاصة، تتجاوز مرتبة الإفهام إلى مرتبة التأثير" .[1]

---

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، صـ ٣٢١، ٣٢٢، طبعة/ المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٢ م.

وقد أجاد الشاعر في المطلع حينما عبّر عن المودة والعلاقة القوية التي بين الشرق والغرب بلفظ" أخِي" وكأنه يريد أن يُثبت أن بين الشرق والغرب مودة وحبا وترابطا كما بين الأخ وأخيه؛ وذلك ليعضد ويقوى من الترابط القائم بينهما، وهذا من شأنه أن يزيد من خصوصية الإنكار، وكذا يُضفي على المعنى الاستفهامي شدة وقوة وتأثيرا، وكذا يثير في النفوس تطلّعا يقوم على استنكار واستقباح ما يحدث من الغرب.

فالنداء بلفظ الأخوة يزيد من حِدة الاستفهام، ومن خصوصية الإنكار، وهو بدوره يتناغم مع الاستفهام في الشطر الثاني في قوله" وَأَيْنَ الأُخُوّةُ بَيْنَ الوَرَى" وهذا يزيد من الإنكار والاستقباح، فالغرب لم يحافظ على الأخوة الخاصة، وكذا لم يحافظ على الأخوة العامة التي بين الخلق أجمعين.

ولا يغفل البحث عن الإيجاز الذي استخدمه الشاعر ليدعم خصوصية الإنكار، وكذا يطوي وراءه الكثير من الكلمات التي لا تتناسب مع مطلع القصيدة، حينما قال" مَاذَا جَرَى" ؟؟ كأنه رأي أنه لو ذَكر ما حدث من الغرب من أفعال وممارسات وصاغ ذلك في كلمات وأفصح عنه؛ لأخلّ ذلك بمطلع القصيدة، فالإيجاز أدي إلى تهويل ما صدر من الغرب، ومن ثم حقّق نوعا من الإثارة والتشويق وجذب الانتباه، وتناسب مع خصوصية الإنكار.

وفي قوله" مَاذَا جَرَى" أسلوب استفهامي يدل على الإنكار القوي؛ لما يحمله من تعظيم واستنكار أمر الأحداث التي صدرت عن الغرب، فالشرق يُنكر أفعال الغرب تجاهه، ويُظهر إنكاره وحيرته ودهشته من تلك الأفعال، ويستفهم عنها في أسلوب إنكاري.

وفي قوله" وَأَيْنَ الأُخُوّةُ" استفهام جديد يزيد من حِدة الإنكار ويقوى من الاستفهام الأول، ويزيد من تأثيره ووقعه، فالشرق يُنكر على الغرب تنكّره وعدم مراعاته لما تقتضيه الأخوة من المودة والتعاون والتراحم والعلاقة الطيبة... ، كما أن فيه لوما وعتابا يوجهه الشرق إلى الغرب على عدم قِيامه بما تقتضيه الأخوة.

كما أفاد الاستفهام أيضا؛ حث الغرب على ضرورة مراعاة ما بينه وبين الشرق من علاقة أخوة ثابتة وقوية. ذلك أن" أي أسلوب إنشائي يفيد مجموعة من المعاني المتقاربة المتداخلة، يثيرها الأسلوب في النفس المتلقية، وهى شعورية أو نفسية أو عقلية، ولهذا فقد نجد اختلافا في تسمية هذا المعنى أو تعيينه؛ لأنها أمور ذوقية نفسية متقاربة" . (١)

والاستفهام كشف أيضا عن الإنكار والحَيرة والدهشة والاستعظام لما بدا من الغرب تجاه الشرق من أفعال من شأنها أن تتنافى مع ما تقتضيه الأخوة الإنسانية بينهما، وقد وقع موقع التمهيد للاستفهام بـ" أيْنَ" والذي كان قوي الدلالة في إنكار عدم الالتزام بمقتضيات الأخوة والتي من أهمها عدم التفاضل أو التمايز أو التباهي أو التعالي....

وفي الأسلوب ارتقاء بالإنكار من الناحية الأسلوبية والمعنوية أيضا، أما الأسلوبية فمن حيث بناء الأسلوب الاستفهامي بناء مغايرا لسابقه، حيث آثر بناءه على أداة الاستفهام" أيْنَ" ، وهي للسؤال عن المكان.

ولا يغفل البحث عن إيثار الشاعر لأداة الاستفهام" أيْنَ" والتي دلت على غياب مقتضيات الأخوة بين الشرق والغرب، وقد برز هذا الغياب في العديد من الأشكال التي يمارسها الغرب ضد الشرق، والتي تتمثل في إنكار الأخوة وعدم العمل بمقتضاها.

ويتراءى للبحث تضافر أجزاء البنية مع خصوصية الإنكار، ومع الأسلوب الاستفهامي وما يحمله من استنكار ودهشة وحيرة وتعجب واستهجان... ؛ ومن ذلك

---

(١) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، أ. د. صباح دراز، صـ ١٧، طبعة/ مطبعة الأمانة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٨٦ م.

إيثار التعبير بلفظ" الأخُوّة" ففيها من معاني الألفة والمودة ما يقيم الحجة والدليل على الغرب في تجرّده من كل تلك المعاني السامية، والقيم العليا، والمُثل النبيلة التي تغرسها وتعززها علاقة الأخوة. كما أن في التعبير بـ" الأخوة" تدعيم للإنكار بالاستفهام؛ لما تمثله وتحمله من مظاهر القرب والود والمساواة والتآلف... التي تستوجب الابتعاد عن الأفعال القبيحة السيئة التي يستنكرها الإنسان ولا ترتضيها الإنسانية فضلا عن الأخوة.

ويتناغم أيضا مع خصوصية الإنكار؛ تعريف المسند إليه" الأخُوّة" باللام الدالة على الجنس، وفي ذلك إشارة إلى أن المراد تلك الأخوة بكل ما تعنيه من معاني التآلف والمساواة والود والتصافي والتقارب... بين المتآخين، وبذلك يتأكد الإنكار على الغرب الذي تجاهل كل تلك المعاني وآثر القطيعة على الألفة، والعداء على المودة والوئام.

كذلك تقوّت خصوصية الإنكار بتقييد المسند إليه بقوله" بَيْنَ الوَرَى" وهو قيد يوطّد للإنكار ويثبته؛ لأن ذِكر الأخوة العامة التي تكون بين الورى؛ فيه مبالغة تزيد من خصوصية الإنكار الصادر من الشرق إلى الغرب الذي لم يرع حتى الأخوة العامة التي بين الخلق أجمعين، فالغرب أقدم على كل قبيح، فلم يرع القيم والمثل التي فرضها الدين، وأقرتها الإنسانية وحثّت على ها.

ثم انتقل الشاعر فقال على لسان الشرق يخاطب الغرب:

فَهَلّا ذَكَرْتَ صِبَاكَ الّذِي مَضَى، وَذَكَرْتَ الأخَ الأكْبَرَا؟؟

وفي التمني بـ" هلا" التي تفيد إلى جانب التمني" التنديم في الماضي" والتوبيخ على ما يصدر من الغرب من أفعال، فالشرق هنا يتمنى من الغرب أن يتذكر أمر صباه، ويوبخه على أفعاله التي لم يرع فيها حق الأخوة ولا حق الصبا الذي مضى. وقد زاد التعبير بـ" هَلّا" من خصوصية الإنكار؛ لما يحمله من فضائل ومكارم وهبات... قدّمها الشرق للغرب وأنكرها الغرب ولم يعترف بها أو يعمل بمقتضاها.

هذا: وقد زاد التمني من حِدة الإنكار؛ لما اجتمع فيه من بُعد بالنسبة للواقع الذي ظهر فيه الغرب بأفعاله التي لا تُثبت اعترافه بالأخوة، أو العمل بمقتضاها، كما توافر في التمني البُعد من حيث إحساس النفس ببُعد المُتمني، فالشرق رأى ما رأى من أفعال الغرب التي لم يحفظ فيها وُدا ولا فضلا ولا كرما، فبدأ الشرق يوبخ الغرب ويدعوه إلى تذكر أفعاله التي قدّمها له.

وهذا ما أشاعه أسلوب التمني هنا، ذلك أن" المعاني التي نعدها من باب التمني ذات طبيعة خاصة فهي من المعاني التي تتعلق بها القلوب وتشتاقها سواء أكانت بعيدة أم مستحيلة، ثم إن البُعد فيها ربما لا يكون بعدا بالنسبة للواقع أو العرف أو العقل، وإنما هو بُعد من حيث إحساس النفس به ..." . (١)

وزاد من خصوصية الإنكار تقوية؛ التعريف بضمير الخطاب في قوله" ذَكَرْتَ" ؛ لما فيه من توجيه العتاب واللوم والاستهجان والاستنكار والاستقباح... للغرب، واستخدام أسلوب الماضي يدل على الثبوت والتحقق، فالشرق يريد أن يكون أمر التذكر ثابتا ومحققا من قِبل الغرب حتى يتراجع عن أفعاله، وينتبه لتصرفاته، ويرعى للأخوة حقها.

كما دعّم خصوصية الإنكار التنكير في لفظ" صِبَاكَ" ؛ لإرادة النوعية، فالصبا ليس كأي صبا، وإنما هو صبا من نوع خاص يقوم على الرعاية والاهتمام وتقديم الفضائل والشمائل... ، كما أن هذا الصبا كان يُوجد فيه من يرعى ويتابع ويحفظ ويوجه ويرشد... ، وهذا ما أكده في قوله" وذكرت الأخ الأكبر" فالشرق كان دائما يُقدم للغرب الفضائل والشمائل والعطايا... ، فكان يتوجّب على الغرب أن يرعى هذا، وأن يتجرد من كل ما يفعله من أمور.

---

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، تأليف. أ. د. محمد أبو موسى، صـ ١٩٧، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة/ ثانية ١٩٨٧م.

كما أن ذِكر الصبا هنا؛ يشير إلى تعهّد الشرق بتقديم الفضائل للغرب من بداية نشأته ومن قديم زمانه، فالشرق صاحب الفضل والعطاء من قديم العهد.

وفي قوله" الّذِي مَضَى" وصف للمتعلق جاء لزيادة التأكيد وتقوية الإنكار، فعندما يطلب منه أن يتذكر أمر صباه، فهذا يدل على أنه طلب للذي مضى، فكلمة" صِبَاكَ" تدل على الذي فات وانقضى، ولكن زاد الشاعر وأكد؛ لحَمل الغرب على الاعتراف وإظهار الفضائل والشمائل... ؛ لعله يرتدع ويكف ويتوقف عن أفعاله التي يفعلها تجاه الشرق.

ويلمح البحث دوْر الوصل هنا في تقوية خصوصية الإنكار، فجاء قوله" وَذَكَرْتَ" معطوفا على ما قبله لقصد تشريك الثانية في حكم الأولى، فكأنه يقول: إذا رجعت إلى صباك؛ ستتذكر الأخ الأكبر الذي غمرك بالرعاية، وتفضّل على ك بالعديد من الفضائل، وقدّم لك الكثير من الشمائل، فلماذا تُنكر كل هذا ولا تعترف أو تعمل عملا يدل على حفظك الجميل والفضل؟؟ !! . وفي قوله" ذكرت" ذِكر للمسند مع وجود القرينة الدالة عليه إن حذف، وفي هذا زيادة تقرير وتوضيح وحث للغرب على التذكر وعدم النسيان والتجاهل.

كما لا يغفل البحث عن الكناية ودورها في تقوية خصوصية الإنكار في قوله" الأخَ الأكْبَرَا" وهي كناية عن موصوف هو الشرق، والتصوير الكنائي هنا ساعد في قوة الإنكار، وتأثير موقعه، حيث أظهر فضل الشرق على الغرب، وصوّره أخا أكبر للغرب، يمُد إليه عطاياه ويديه بالخير والفضل والعطايا... . وقوله" الأكبر" وصف للمتعلق أفاد المبالغة في التعظيم، فهو يريد أن يقول له: إن هذا الأخ العظيم ليس كأي أخ؟؟ !! وإنما الأخ الأكبر الذي دائما يهتم بالرعاية والحفظ وتقديم الدعم والنصح والإرشاد... .

كما زاد من خصوصية الإنكار؛ الطباق في قوله" صِبَاكَ الّذِي مَضَى، وَذَكَرْتَ الأخَ الأكْبَرَا" فبين لفظ صباك ولفظ الأكبر ما يلحق بالطباق، فضد الكِبر هو الصّغر،

ولفظ" الصبا" في البيت يستلزم الصغر، فالصبا يتعلق بالصغر من حيث هو لازم من لوازمه. وقد أفاد ورود الكلام على طريقة ملحقات الطباق؛ مدى قوة الشاعر في اختيار الألفاظ، فكأنه رأى أن ذِكر الصّغر نفسه على الرغم من توافقه مع ذكر الكبر؛ إلا أنه يؤدي إلى جانب ذلك التقليل من أمر الصغر، ومن ثم التقليل من شأن العطايا والهبات والفضل... التي قدمها الشرق.

أما ذِكر الصبا فإنه يوحي بمرحلة النشاط والولع والفرح والمرح... ؛ ففي تلك الأوقات المليئة بالمتعة والمرح كان الشرق صاحب الفضل، واليد المقدمة العطاء، وهذا يزيد من قوة الإنكار، فلو أن الغرب تمهّل واسترجع ماضيه، واعترف وتذكّر؛ لأقرّ بفضل الشرق، وكفّ عن أفعاله. وهذا ما ظهر وبدا من خلال اللون البديعي الطباق وما يلحق به. ذلك أن" المطابقة لها شعب خفية، وفيها مكامن تغمض، وربما التثبت بها أشياء لا تتغير إلا بالنظر الثاقب والذهن اللطيف" . (١)

الموضـــع الثانـــي: ورد في ختام القصيدة على لسان الشرق يستنكر أفعال الغرب، وما وصف به نفسه من قوة وفتك وبطش وشدة... ، حين قال الغرب يخاطب الشرق:

أنَا نَمِرٌ يَا أخِي فَاتِكٌ فَكُنْ أسَدًا تَنْجُ مِنْ فَتْكَتِي

إذَا كُنْتَ مِثْلِى قَوِيّا فَأنْتَ أخٌ لِي تَحْذَرُهُ قُوّتِي

وَإنْ كُنْتَ أضْعَفَ مِنّى فَلَا أرَاكَ أخًا لِي بَلْ لُقْمَتِي

فبدأ الشرق يرد ويتصدي ويُنكر ما قاله الغرب، مطالبا إياه أن يفُوق من غفلته ونومه ولهْوه... ، فهو ليس نمرا كما يظن، فما هو إلا مجرد شقيق سكر، فقال:

---

(١) الألوان البديعية، أ. د. حمزة الدمرداش، صـ ٦٣، طبعة/ دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٨٠ م.

أَخِي أَيّهَا الغَرْبٌ لَسْتَ النّمِرْ أَفِقْ لَسْتَ إلّا شَقِيقًا سَكِرْ
فَصُلْتَ عَلَى الشّرْقِ وَحْشِ الوُحُوشِ تُزَمْجِرُ فِي بَدْوِهِ وَالحَضَرْ
وَأَمْطَرْتَ أَبْنَاءَهُ مِنْ يَدَيْكَ مَظَالِمَ مِنْ فَوْقِهِمْ تَنْهَمِرْ
فَهَبّوا وَقَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُمْ تُبَدّدُ لَيْلَهُمْ المُعْتَكِرْ
وَكَانُوا نِيَامًا فَأَيْقَظْتُهُمْ وَكُلّهُمْ جَمْرَةٌ تَسْتَعِرْ

ويظهر للبحث أن الشاعر أسّس لخصوصية الإنكار؛ أسلوب القصر في البيت الأول وجعله أسلوبا رئيسا في التعبير، ثم أتي بما يدعم ويقوّي تلك الخصوصية من أساليب أخر، فبدأ الشرق بقوله" أَخِي أَيّهَا الغَرْبٌ" وهو نداء حذفت منه أداته؛ لسرعة توجيه الكلام المحفوف بالإنكار والرفض والإباء والتهديد والتحذير... إلى الغرب، فالشرق يستنكر بشدة كل ما وصف الغرب به نفسه، ومن ثم فقد هبّ الشرق وبدأ يواجه الغرب ويرد عليه في كل تجاوزاته التي فعلها؛ فعلى الغرب أن يبادر بسماع ما يقوله له؛ حتى ينتبه ويفيق من أنفة العظمة والعلو المسيطران عليه.

ثم زاد من خصوصية الإنكار بقوله" أَفِقْ لَسْتَ إلّا شَقِيقًا سَكِرْ" والأمر يحمل مع الإنكار؛ تهديدا وتحذيرا شديد اللهجة من الشرق، فكيف للغرب أن يدّعى لنفسه هذه القوة بأنه نمر ووحش الوحوش؛ فعليه أن يستفيق ويحذر وينتبه من الشرق فقد انتفض واستيقظ.

والمتأمل المدقق النظر؛ يجد أن الشاعر أتي بأسلوب الأمر من الفعل" أفاق" وهو من الإفاقة بمعنى" رجوع الإدراك بعد زواله بغشي أو نوم أو سكر أو تخبط جنون" .[1] وإيثار الفعل بهذه المادة يدل على قدرة الشاعر الإبداعية في تخيّر ألفاظه التي تُقوي من خصوصية الإنكار، فاللفظ يكشف أن الغرب حينما قال تلك الادعاءات

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٤٩/٩، طبعة/ الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤ هـ .

ونطق بكل ما قاله عن نفسه، وحديثه الممزوج بالفخر والعلو؛ إنما فعل كل هذا لأنه كان في حالة من غياب الوعي والإدراك سواء كانت نوما أو سكرا أو غيره، لذا طلب منه الشرق أن يفيق ويصحو من غفلته وغشيانه.

وزاد من حِدة الإنكار؛ تقديم أسلوب النداء على الأمر؛ للاهتمام بالمأمور به، فالشرق يهتم بتوجيه الاستنكار للغرب، ويريد أن ينبهه لما سيلقيه إليه من خطاب. قال ابن عرفة" إذا قدّم النداء على الأمر فيكون المراد تنبيه المخاطب واستحضار ذهنه لما يلقى إليه، وإن قدم الأمر على النداء كان ذلك دليلا على تأكيد طلبه وأنه هو المقصود" . (١)

كما أن النداء يقوي من الإنكار؛ لما يدل عليه من عناية الشرق بما يقوله، ومن ثم آثر أن يهيئ نفس الغرب، ويستحضر كل يقظته؛ حتى يرسخ في ذهنه كل ما يقوله؛ لأن الغرب في غفلة ويحتاج أن يفيق منها وينصت لما يقوله الشرق. ذلك أن" النداء يوقظ النفس، ويلفت الذهن؛ لأنه طلب ودعاء، فإذا جاء الأمر صادف نفسا مهيأة يقظة فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحسٍ واعٍ، وذهن متنبه، وهذا دليل على عناية الآمر بأمره، ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه" . (٢)

ثم جاء أسلوب القصر في قوله" لَسْتَ إلّا شَقِيقًا سَكِرْ" ، حيث قصر الشرقُ الغرب على كونه ليس إلا شقيقا سكر. وقد أفاد القصر المبالغة في توجيه الإنكار لكل ما قاله الغرب وأخبر به عن نفسه، كما يحمل القصر لوما وهجاء وذما وسخرية وتهكما... من قِبل الشرق.

---

(١) تفسير ابن عرفة لمحمد التونسي المالكي، تحقيق. د. حسن المناعي ١/ ٢٤٨، طبعة/ مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، طبعة/ أولي ١٩٨٦م.

(٢) دلالات التراكيب، تأليف. أ. د. محمد أبو موسى، صـ ٢٥٦.

والقصر هنا إضافي، حيث قصر الشرق فيه الغرب على كونه شقيقا سكر، وهو قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا؛ لأن النفي موجه إلى صفة محدودة وهي قول الغرب عن نفسه في الأبيات السابقة" أنا نمر فاتك" ؛ لذا عمد الشرق ابتداء إلى نفيها صراحة في قوله" لست النمر" ثم أعاد نفيها عن طريق القصر" لست إلا شقيقا سكر" ؛ فكان ذلك أعلى رتبة في الإنكار.

وفي قوله" لَسْتَ إلّا شَقِيقًا سَكِرْ" أتي بالصفة على صيغة المبالغة" سَكِرْ" للمبالغة في ملازمة تلك الصفة للغرب، وثبوتها فيه، وأن كل ما يصدر عنه مجرد أقوال صادرة من سكران لا يدري ما يقول، وإنما يهذي بما لا يدري ولا يستطيع أن ينفّذه.

وزاد من خصوصية الإنكار؛ وضع المظهر موضع المضمر في قوله" فَصُلْتَ عَلَى الشّرْقِ" ، فالحديث صادر من الشرق إلى الغرب، فكان حقه أن يقول" فصُلت عليّ" لكن عدل إلى وضع المظهر هنا؛ لإدخال الروع في نفس الغرب، وتربية المهابة عنده، ومخاطبته بنفس اللهجة المملوءة بالتهديد والتحذير والعلو والفخر... التي انتهجها الغرب؛ حتى يفيق ويمتثل ويخضع. كما أن وضع المظهر موضع المضمر فيه تقوية للإنكار؛ لما يحمله من تفخيم لأمر المتكلم ـ الشرق ـ ، وزيادة اعتداده بنفسه، وبيان مدى قوته، وعظم بطشه.

والنظم بهذه الصورة ووضع المظهر مكان المضمر؛ يزيد من خصوصية الإنكار، ويخلق حالة من التآخي اللغوي والدلالي ويعمل على وضع صورة جميلة تثبت قوة الشرق، وتظهر اعتزازه بنفسه، وتكشف عن امتلاكه كل الأدوات التي تحقق له الانتصار على الغرب والتغلب عليه، ومن ثم إنكار كل ما يقوله الغرب. وهذا ما قال عنه الإمام عبد القاهر في مثل هذا النظم" حتى إذا تدبرته لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضِه إلى بعضٍ، سبيلَ مَنْ عمدَ إلى لآلٍ فخرَطَها في سلك، لا يبغي أكثر من يَمْنعَها التفرُّق، وكمَنْ نَضَدَ أشياءَ بعضُها على

بعضٍ، لا يُريد في نَضَده ذلكَ أن تجيء له منه هيئةٌ أو صورةٌ، بل ليس إلاَّ أنْ تكونَ مجموعةً في رأْي العينِ. وذلك إذا كان معناك، معنى لا تحتاج أن تَصْنَعَ فيه شيئاً غيرَ أنْ تَعْطِفَ لفَظاً عَلَى مثلِهِ" . (١)

ثم زاد من خصوصية الإنكار؛ بقوله" فَصُلْتَ عَلَى الشّرْقِ وَحْشِ الوُحُوشِ" وهو تشبيه جرى على نمط ما قاله الغرب عن نفسه حين خاطب الشرق فقال:

أنَا أيّهَا الشّرْقُ وَحْشُ الوُحُوشِ فَوَيْلٌ لِمَنْ حَلّ فِي قَبْضَتِي

وتضفى الصورة التشبيهية التي خلت من الوجه والأداة؛ تضفى ألوانا شتى وظلالا من المعاني تُقوي من الإنكار لكل ما قاله الغرب، فأنت يا غرب شقيق سكر، فكيف تصف نفسك بأنك وحش الوحوش، فالشرق هو وحش الوحوش، وليس بيني وبين وحش الوحوش مجرد شبه؛ بل اتحاد قوي وشبه آكد؛ فلا تستطيع يا غرب أن تقف أمامي.

ولا يخفى ما لهذه الصورة التشبيهية من قيمة عالية في إثبات القوة والافتراس والغلبة... وغيرها من المعاني التي تُعلي من الإنكار، فالشرق وحش الوحوش، وقد بلغ مبلغا عاليا في القوة، فمما هو معلوم أن وحش الوحوش تخضع له كل الوحوش، ويفترس ولا يُفترس، ويغلب ولا يغلب، وجميع الوحوش تخشاه وتخاف منه؛ وهذا يؤكد ما بلغه الشرق من قوة وافتراس... تستدعي حذر الغرب وانتباهه.

وتتّضح جماليّات التشبيه في التشكيل اللغوي في قول الشاعر على لسان الشرق" فَصُلْتَ عَلَى الشّرْقِ" يقال" صَاوَلَهُ مُصَاوَلَةً وصِيالًا وصيالة، أي: غالبَهُ ونافَسَهُ" . (٢) فالشرق ينكر على الغرب ما يدعيه، فأنت يا غرب أتنافسني فيما أملك؟؟ ، أتدعي

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، صـ ٩٦.

(٢) المعجم الوسيط، باب/ الصاد ١/ ٥٢٩.

لنفسك صفاتي التي أتصف بها؟؟ ، أتحاول أن تصف نفسك بما ليس فيك؟؟ ، ثم أعقب ذلك بالتشبيه بوحش الوحوش؛ فاستطاع الشاعر أن يجعلنا نتعايش معه في انفعالاته وأحاسيسه التي ترجمها فكره وعقله في نظم بلاغي متلاحم البناء، متسم بسلاسة اللفظ وعذوبته، وروعة المعنى وحسن الصياغة، متمثلا في ذلك قول ابن طباطبا" وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ...".(١)

كما يظهر للبحث دور الاستعارة في تقوية الإنكار في قوله" وَأَمْطَرْتَ أَبْنَاءَهُ" فشبّه الأمور التي نزلت بالشرق من قِبل الغرب بالمطر النازل من السماء، بجامع الكثرة والزيادة في كل، ثم استعير المطر للأمور التي نزلت وحلّت بالشرق، فصار المطر هنا دالا على ما نزل بالشرق.

وقد أفادت الاستعارة؛ بيان شدة ما نزل بالشرق من مصائب وكوارث وأحداث... من قِبل الغرب، حتى صارت كالمطر الذي ينزل من السماء، فالشرق يستنكر تلك الأفعال ولا يقبلها، وسيرد على الغرب ويتصدي له. كما عبّرت الاستعارة أبلغ تعبير عن كثْرة ما فعله الغرب مع الشرق من مظالم وفساد وخراب وشر... ـ يستدعي الإنكار ـ في أبسط عبارة وأقل لفظ. ذلك أن الاستعارة" تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعاً من الثَّمر" . (٢)

ويلمح البحث ما أداه المجاز من مبالغة أضفت على خصوصية الإنكار علوا وكمالا؛ وذلك في قوله" مِنْ يَدَيْكَ" وهو مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، حيث أسند الفعل إلى اليدين والمراد الغرب نفسه. وفي المجاز إشارة واضحة إلى ثبوت هذه الأفعال

---

(١) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، تحقيق. د. طه الحاجري، د. محمد زغلول سلام، صـ ١٢٤.
(٢) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٤٣.

للغرب، وأنه بادر وأسرع إليها وفعلها ومارسها بيديه، فالغرب لم يكن مُحرضا من بعيد بأياد خفية، وإنما أقدم بنفسه على تلك الأفعال، وهذا يبرز حقيقته الماكرة الخبيثة، ويزيد من قوة الإنكار في رد الشرق على الغرب بأسلوب القصر في الأول" لست إلا شقيقا سكر".

وآثر الشاعر تقوية الإنكار؛ عن طريق تقديم المتعلق على المسند في قوله" مَظَالِمَ مِنْ فَوْقِهِمْ تَنْهَمِرْ" ؛ لإفادة المبالغة في النزول، وأن المظالم عمّت أبناء الشرق جميعا، فكل متأمل وكل صاحب نظر؛ صار يري المظالم، وهذا أدعى إلى استنكار الشرق ورفضه.

المبحث الثانـي: خصوصيـة الإقناع

الإقناع نوع من الخطاب الذي يهدف من خلاله المتكلم إلى حمْل المخاطب على إتيان فعل أو تركه، مستعينا بالحجج التي تجعل المخاطب يُذعن لما يقول. وقد تضمّنت تلك القصيدة في ثنايا أبياتها تلك الخصوصية في مطلعها، وذلك في موضع ورد على لسان الشرق يخاطب الغرب ويبين فيه الشرق ما فعله وقدّمه من عطايا تمثلت في الدين والعلم والفن، حيث قال مُخاطبا الغرب:

أَلَمْ أعْطِكَ الدّينَ شمْسًا تُضِيء الـ مَسِيرَ، وَبَدْرًا يُنِيرُ السّرَى؟؟

أَلَمْ أعْطِكَ العِلْمَ غَرْسًا نَمَا لَدَيْكَ، وَأثْمرَ مَا أثْمَرَا؟؟

أَلَمْ أعْطِكَ الفَنّ حَتّى نَحَتّ الـ صّخُورَ وَصَوّرَ مَنْ صَوّرَا؟؟

ويلمح البحث أن الشاعر أسّس لخصوصية الإقناع؛ أسلوب الاستفهام في الأبيات الثلاثة وجعله أسلوبا رئيسا في التعبير، ثم أتي بما يدعم ويقوي تلك الخصوصية من أساليب أخر، والاستفهام أتى على لسان الشرق لغرض التقرير؛ ليثبت من خلاله فضائله على الغرب؛ حتى يحمله على الإقناع ويقيم عليه الحجة، ويُقوّي الدعوى، ويبرز البرهان، ويسبل الدليل، ويسكت ويردع الغرب الذي انطلق متفاخرا ومتمايزا ومتباهيا... .

وهذه الخصوصية خرج إليها بعد الإنكار الذي استهل به القصيدة؛ ليوضح أسباب إنكاره، فالشرق صاحب الفضل والعطاء على الغرب.

ويظهر للبحث ما في قوله" أَلَمْ أعْطِكَ" من استفهام لغرض التقرير؛ لحمْل المخاطب على الإقرار بمضمون الخبر؛ لأنه الأنسب لمقام المناظرة الذي يتسابق فيه كل فريق لإقامة الحجة على الآخر، والغرض هنا هو حمْل الغرب على الإقرار بفضائل الشرق عليه، والتي بالغ الغرب في إنكارها، وهذا يقوي من خصوصية الإقناع التي يسعي الشرق أن يحمل الغرب عليها.

ويلمح البحث ما في الاستفهام التقريري في السياق من أثر بارز في توطيد الإقناع والتعبير عما في نفس الشاعر من انفعال وتفاعل. ذلك أن" الغرض البياني من الاستفهام التقريري إلزام المخاطب بالحجة، وانتزاع الاعتراف منه بما يريد المتكلم، وفي ذلك غرض نفسي، وذلك لأن البيان والبلاغة لهما صلة وثيقة بقضايا النفس وبعلم النفس كذلك" . (١)

ثم زاد من خصوصية الإقناع؛ بالتشبيه في قوله" الدّينَ شمْسًا" ، فشبه الدين بالشمس أولا، ثم شبهه بالقمر ثانيا؛ ليجمع للدين عددا من الفضائل والصفات... التي منحها للغرب، فكان لهم كالشمس التي تضيء المسير، وهو كناية عن وضوح الأمور، وبيان الطريق، وإكساب الخير، والمد بالنور... ، وهذا من شأنه أن يحمل الغرب على الإقناع والإقلاع عن أفعاله، فقد كان سابقا في تخبط وانعدام رؤية وغياب بصيرة في كل الأمور، فقام الشرق بإعطائه الدين الذي أنار له كل هذا، ونقَله من التخبط الذي يعيشه، فكان الدين كالشمس التي أنارت العالم وأضاءته.

كما كان الدين كالبدر الذي أنار للغرب الظلمات، وهو كناية عما كانوا فيه من ضلال وغي، وانغماس في الجهل، وانجراف نحو الشهوات والانحرافات... ، فجاء الدين وأزال عنهم الظلمة، وأضاء لهم الدرب، وأخرجهم مما كانوا فيه من جهل وضلال... ، وهذا حدث بفضل الشرق الذي أعطى الدين للغرب، وهذا أدعى إلى حمل الغرب على الإقناع.

كما أن الجمع في جانب المشبه به دعّم خصوصية الإقناع التي أظهرها الاستفهام التقريري؛ لما يفيده تشبيه الجمع من تعظيم وتجليل أمر الدين، وعلو شأنه، وبيان عمومه وشموله... لكل ما يحتاجه الإنسان كي يعيش ويتعايش في هذا الكون،

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ـ علم المعاني، د. فضل حسن عباس، صـ ٢٠٠، طبعة/ دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة/ ثانية ١٩٨٦ م.

فهو كالشمس التي تنير الكون، وينبُت النبات من ضوئها، ويستفيد بطاقتها الإنسان قبل الحيوان والنبات. كما أنه كالبدر الذي يبدّد الظلام، ويهتدي من خلاله المسافرون، ويزيل الظلمة والوحشة... ، فهكذا الدين أنقذ هؤلاء من الظلام.

ثم أثرى الشاعر المعنى باستفهام جديد على لسان الشرق في قوله" أَلَمْ أَعْطِكَ العِلْمَ غَرْسًا..." وتكرار الاستفهام يُقوي من الإقناع، ويوحي بمدى انفعال الشرق بما صدر من الغرب، ويكشف عن مقدار حرصه على حمْل الغرب على الاقتناع المُفضي إلى الإقرار والاعتراف بالفضائل التي تفضّل بها الشرق عليه.

وزاد خصوصية الإقناع تقوية؛ انضمام التشبيه إلى الأسلوب الاستفهامي في قوله" العِلْمَ غَرْسًا نَمَا لدَيْكَ" حيث شبّه العلم النافع بالشجرة، وقد أفاد التشبيه رفع شأن العلم، وبيان أنه من الأمور التي ينبغي على الإنسان أن يستخدمها استخداما صحيحا يكون هدفه هو خدمة المجتمع ونمائه، فإذا ما فعل ذلك؛ استطاع أن يصل إلى ثمار العلم. كما كشف التشبيه عن بيان ما فعله الغرب بالعلم حيث لم يتكاسل ويتوقف عند حد معين، بل اهتم حتى طوّر وأبدع فيه ووصل إلى ما وصل عليه الآن، وكل هذا حدث بفضل الشرق، ومن ثم على الغرب أن يقر ويقتنع.

وهذه الصورة التي تخيّرها الشاعر مناسبة للسياق، ومصيبة لموقعها، وتتماشى مع ما فعله الشرق للغرب، وما أسداه له من فضائل وعطايا... ، وتعمل على استدعاء الإقناع والإذعان والاعتراف، فالشرق أعطى الغرب العلم الذي وصل من خلاله إلى ما وصل من ازدهار وتقدم وتطور... ، فالشرق هو من قدّم وتفضل بكل هذا.

ويتعاون مع الأسلوب الاستفهامي في تقوية خصوصية الإقناع؛ التعبير بالموصول في قوله" مَا أَثْمَرَا" وهو يفيد التفخيم والتهويل والتأكيد على أن المنافع التي وصل الغرب إليها من العلوم التي أعطاها له الشرق؛ كثيرة، وأن أمرها مبهم مِن عظمتها وكثرتها التي بلغتها، وهذا آكد في إثبات الفضل، وأنسب لمقام إظهار

العطايا، وأدعى في الحث على الاعتراف بها، ومن ثم دفْع الغرب إلى الإقناع والتراجع عن كل أفعاله.

ثم أثري الشاعر المعنى باستفهام جديد على لسان الشرق في قوله" أَلَمْ أعْطِكَ الفَنّ... " ؛ لحمل الغرب على الإقرار بعطايا الشرق، والتعريف في لفظ الفن بـ" أل" ؛ يشير إلى أن الفن الذي أعطاه الشرق للغرب ليس كأي فن، وإنما هو فن من نوع خاص غير الذي يعرفه الناس من الفنون الفاسدة الزائفة... ، وإنما هو الفن الصادق البديع الجميل الرائع... ، وهذا أدخل في حمْل الغرب على الإقناع من جهة، ومن جهة أخرى نفي أي تهمة عن الشرق إذا استخدم الغرب فنا من الفنون الفاسدة.

كما تضافر مع خصوصية الإقناع وتعاون مع أسلوب الاستفهام؛ الإيجاز في قوله" حَتّى نَحَتّ الصّخُورَ" فالحرف" حتى" يدل على انتهاء الغاية، وكأن الشرق يقول للغرب: أعطيتك الفن ففعلت ما فعلت به من أمور عظيمة لا يحيط بها الوصف!! حتى انتهيت إلى نحت الصخور، وهذا أدعى إلى توجيه الغرب نحو الإقناع.

ويلْحظ البحث تناغم الكناية مع أسلوب الاستفهام في تأكيد خصوصية الإقناع، في قوله" نَحَتّ الصّخور" كناية عن معرفته النقش والتصوير والزخرفة... وقدرته علي أن يصنع منها رسوما جميلة، وأشكالا حسنة يُعْجب بها كل من ينظر إليها.

وقد تآزرت الكناية مع الأسلوب الاستفهامي في حَمْل الغرب على الإقناع، كما عبّرت عن الحالة الرائعة الجميلة الساحرة... التي وصل إليها من استخدامه للفن؛ لأن النحت أرقي الفنون وأدقها.

ولا يغفل البحث عن تعاون التعريف مع أسلوب الاستفهام في تدعيم خصوصية الإقناع؛ في قوله" وَصَوّرَ مَنْ صَوّرَا" فعرف المسند إليه بالموصول؛ لتقرير الغرض المسوق له الكلام، فالغرب استخدم الفن واستطاع من خلاله أن يأتي بأشياء جديدة؛ كانت سببا في أن يأتي المصورون ليصوروا هذه الأشياء، فتعريف من جاؤوا لا يتعلق به غرض، وإنما الغرض هو إثبات أن هناك من جاء ليصور.

ومـن المحتمـل أن يكـون التعريـف بالموصـول؛ للتفخـيم والتهويـل، فـالغرب قـد وصل إلى درجة عالية في النبوغ والتقدم في أمر الفن الذي أعطاه له الشرق؛ حتى جاء المصورون من هنا وهناك ليصوروا هذا الفن، فلم يبق مصور في بلد ما؛ إلا وجاء ليصور هذا الفن، وهذا التقدم الذي وصل له الغرب بفضل الشرق، وهذا أدعى إلى الإقناع.

كما تناغى حذف المفعول مع أسلوب الاستفهام في حمل الغرب على الإقناع؛ في قوله" وَصَوّرَ مَنْ صَوّرَا" ، والتقدير" وصوّر من صور تلك الفنون أو النحت أو الأشياء الجميلة المزخرفة... " التي قُمت بها يا غرب، وهذا يشير إلى تعدد الأشياء التي وصل لها الغرب من خلال الفن الذي أعطاه له الشرق، فالغرض بيان أن المصورين جاؤوا وصوروا، دون الإشارة إلى نوع ما صوروه؛ كي لا يقف عند حد معين ونوع معين، فطي المفعول؛ يجعل العقل يذهب كل مذهب في الأشياء الجميلة المزخرفة المزينة المنحوتة... المرسومة ببراعة وفن وبراعة وسحر... ، وهذا أكمل في وجوب الإقناع والإذعان.

وهذا ما برز من خلال طي المفعول، فلو ذُكر لارتبط الغرض به، ولوقع على شيء بعينه جاء المصورون لتصويره. يقول الإمام عبد القاهر في هذا الشأن" وهكذا كلُّ موضعٍ كان القصدُ فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلًا للشيء، وأن تخبر بأنَّ مِن شأنِه أن يكونَ منه، أوْ لا يكونُ إلاَّ منه، أوْ لا يكونَ منه، فإنَّ الفعلَ لا يُعدَّى هناك، لأَنَّ تعديته تَنْقُضُ الغرضَ وتُغيِّر المعنى" . (١)

كما أثْرت الكناية وأزكت خصوصية الإقناع؛ في قوله" حَتّى نَحَتّ الصّخُورَ" كناية عن النبوغ والتفوق، وهذا أقصى حد للبراعة يمكن أن يصل إليه الفنان الماهر؛

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ١٥٥.

هو أن ينحت الصخر ويصور ما يشاء من خلال هذا النحت. وقد أفادت الكناية بيان عِظَم الأمر الذي وصل إليه الغرب، وبيان النبوغ والتفوق والنقش والرسم والإبداع... بصورة لطيفة، دلّ عليها قوله نحت الصخور. وهذا تم له عن طريق الكناية. ذلك أن" الصفةَ إذا لم تأتِكَ مُصرَّحًا بذِكْرها، مكشوفًا عن وجهها، ولكن مدلولًا على ها بغيرها، كان ذلك أفخمَ لشأنها، وألطفَ لمكانِها" . (١)

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٣٠٦.

المبحث الثالث: خصوصيــة التلطـف

التلطف نوع من الخطاب الذي يسعى فيه المتكلم إلى نهج الرفق واللين مع المخاطب؛ مراعاة لقدْره ومكانته، أو رغبة في ترغيبه في أمر معين بصورة لطيفة لينة كي لا يتذمر ويُعرض، وقد تضمنت تلك القصيدة في ثنايا أبياتها تلك الخصوصية في موضع ورد على لسان الغرب يرد فيه على الشرق بعد أن واجهه الشرق بالفضائل والعطايا اللاتي قدمها له، وحمله على الإقناع والاعتراف، فجاء رد الغرب على الشرق، وقال:

أخِي أيّهَا الشّرْقُ كُنْتَ الكَرِيمَ عِي، بَلْ تَجَاوَزْتَ حَدّ الكَرَمْ
وَأنْتَ أبُو الأنْبِيَاءِ الذِينَ أنَارُوا السّبِيلَ لِكُلّ الأُمَمْ
وَأنْتَ أقَمْتَ صُرُوحَ العُلُومِ وَلِلفَنّ أنْتَ رَفَعْتَ العَلَمْ
وَكَمْ شِيمَةٍ لَكَ مَحمُودةٍ لَهَا لَمَعَانُ نُجُومِ الظّلَمْ

ويلمح البحث أن الشاعر أسّس لخصوصية التلطف؛ الأسلوب الخبري القائم على تأكيد الجمل وجعله أسلوبا رئيسا في التعبير، ثم أتى بما يدعم ويُقوي تلك الخصوصية من أساليب أخر، فبدأ بالنداء على لسان الغرب" أخِي أيّهَا الشّرْقُ" وهو نداء حذفت أداته، وذلك للإشارة إلى قربه في النفس، والتحاور بلطف ولين مع الشرق.

وأكد خصوصية التلطف؛ تعريف المسند إليه بالضمير في قوله" كُنْتَ " حيث لم يقل" أخي أيها الشرق الكريم معي" وإنما آثر التعريف بالضمير؛ للتأكيد ولتهيئة المسند إليه لإجراء بعض الصفات عليه. وقوله" الكَرِيمَ " وصف للمسند إليه؛ بقصد تقوية مضمون الكلام وتأكيده، والاعتراف بالفضائل والعطايا والهبات التي قدّمها الشرق للغرب، وهذا غاية في التلطف واللين، فالغرب يُقر بفضائل الشرق ويتلطف معه تقديرا لما قدّمه له.

كما تضافر التقديم مع الأسلوب الخبري في تأكيد خصوصية التلطف؛ في قوله" مَعِي" فقدم الجار والمجرور على الجملة التي بعده، ولم يقل" كنت الكريم بل تجاوزت

حد الكرم معي" ؛ لزيادة التأكيد على أمر الكرم، فليس المراد قصْر الكرم على الغرب، وأن الشرق ليس كريما مع غيره، وإنما المراد تأكيد وإثبات الكرم من قِبل الشرق، وأنه تجاوز فيه الحد مع الغرب، وهذا أبلغ في إثبات الكلام، وأقوى في بيان فضائل الشرق، وآكد في إظهارها، وأتم في النص على كثرتها وعمومها.

كما يدل التقديم على براعة الشاعر واستخدامه التقديم والتأخير بالقدْر الذي يحقق الإقناع والإمتاع للقارئ، ويدعم خصوصية الكلام. ذلك أنه" لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصفة إن لم يقدم فيه ما قدم، ولم يؤخر ما أخر... فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصفة، أفي الألفاظ يحصل له ذلك أم في معاني الألفاظ" . (١)

ويأتي جمال العطف في إثراء خصوصية التلطف، ويدعم الأسلوب الخبري في التأكيد؛ في قول الغرب" بَلْ تَجَاوَزْتَ حَدّ الكَرَمْ" فاستخدم العطف بـ" بل" ؛ للتأكيد على زيادة الكرم، فكأنه حينما وصف الشرق بالكرم؛ أحس بأنه لم يوف له حقه، ولم يثبت الكثرة في العطايا والمكارم والفضائل... ؛ فانتقل إلى جملة بعده ترقيا وتعاليا بإظهار الكرم والزيادة والعلو فيه، وقال مسرعا" بل تجاوزت" للانتقال إلى ما بعده وليس للإضراب عنه، وهذا على حد مجيء" بل" في قوله تعالى﴿ **ولدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِق بالحَقّ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ * بلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ**... ﴾(٢) ، وهذا يزيد من مكارم الشرق، ويؤكد كثرتها، ويثبت زيادتها، ويدعم خصوصية التلطف، ورغبة الغرب في تأكيد كل ما قاله الشرق.

كما يتجلي للبحث دور الاستعارة في تقوية خصوصية التلطف؛ في قوله" تَجَاوَزْتَ" حيث شبه الغرب حالة الشرق حينما ازداد في الكرم معه وبلغ به أقصى

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٣٦٤ .

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٦٢، ٦٣.

درجاته؛ بحال من يكون له حدود معينة موضوعة في أمر ما؛ فيتجاوز تلك الحدود ويتعداها ولا يقف عندها.

وقد أفادت الاستعارة تقوية أمر الكرم، وبيان وصول الشرق فيه إلى أقصي الحدود، فلم يبق مجال أو شيء للكرم والعطاء والفضل... إلا وقد قام به الشرق، وهذا غاية في العطاء، ومنتهى الجود، وأقوى في خصوصية التلطف، ويدعم الاستعارة؛ التعبير بالماضي والتعريف بالضمير في اللفظ" تجاوزت" وهما يقويان المعني ويؤكدا على الكرم والعطايا.

ويلمح البحث دور الأسلوب الخبري في البيت الثاني في تقوية خصوصية التلطف؛ في تعريف المسند إليه بالضمير الدال على الخطاب في قوله" وَأَنْتَ أَبُو الأَنْبِيَاءِ" ؛ لغرض التخصيص والتأكيد، فالشرق هو أبو الأنبياء، وهو من اختص ببعثة الأنبياء في بلاده، وهذا شرف ومكانة ومنزلة نالها الشرق، كما يُظهر الخبر مدي أصالة الشرق، ومدي قِدم وجوده، وأن باقي الأمم التي ظهرت بعد ذلك؛ قامت وتأسست حديثا أوطانها وبلدانها، أما الشرق فهو عماد الأمم من قديم الزمان، وهو من صدّر العلوم والفنون والدين الذي أنار السبل، وأوضح الطريق لكل الأمم، وهذا الإقرار والتأكيد من الغرب؛ منتهي التلطف والتودد.

ولا يغفل البحث عن ثمرة الاستعارة في تزكية خصوصية التلطف والتآزر مع الأسلوب الخبري؛ في قول الشاعر على لسان الغرب" أَنَارُوا السَّبِيلَ" حيث استعار النور للإرشاد والبيان وتوضيح الطريق وإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال... وغيرها من الأمور التي نفعت البشر من خلال بعثة الرسل؛ استعار النور لذلك بجامع الاهتداء في كل.

والغرب هنا يؤثر أسلوب التلطف، ويخاطب الشرق مؤكدا الدّور العظيم للأنبياء وما قاموا به من هداية وإرشاد وبيان ... للأمم، وما نشروه من مُثل وقيم وصفات

نافعة ... ؛ أثمرت على البشرية بالخير، وغمرتها بالنفع والاهتداء وأخرجتها إلى النور والصلاح... .

فكشفت استعارة النور عن تلك المعاني، وأظهرتها وجسّمتها واضحة جلية، فالنور يهتدي به الإنسان، ويبصر الطريق، ويهتدي في كل تحركاته، وهكذا ما جاء به الرسل، وما بلّغوه من معان كان فيها الهدى والإرشاد... للناس، وهذا ما كشفته الاستعارة. ذلك أن فضلها أنك" ترى بها الجمادَ حيّاً ناطقاً، والأعجمَ فصيحاً، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً... وإن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون" . (١)

ويدرك البحث ما أفاده لفظ العموم من تعانق مع الأسلوب الخبري في تقوية خصوصية التلطف؛ في قول الغرب" أنَارُوا السّبِيلَ لِكُلّ الأُمَمْ" وهذا قمة الفضل والتشريف من الغرب للشرق؛ فالغرب يُقر بأن الشرق أبو الأنبياء، وأن هؤلاء الأنبياء أنقذوا كل الأمم من الظلمات، وأناروا لكل الخلق الطريق والسبيل، وتلك مكانة عظيمة تبوأها الشرق ونال وحده شرفها وفضلها، فالأمم بأكملها عرفت النور بفضل الأنبياء الذين تشرّف الشرق ببعثتهم، وهذا أعلى في التلطف في الحوار.

ثم راح الشاعر يؤسس لخصوصية التلطف بالأسلوب الخبري مرة أخرى؛ في قوله" وَأَنْتَ أَقَمْتَ صُرُوحَ العُلُومِ" فعرّف المسند إليه بضمير المخاطب؛ لزيادة التأكيد والتخصيص، فالغربُ يخص الشرق بإقامة صروح العلوم، وأنه شيّدها وأنشأها ووضع قواعدها، وأعطي ومنح الغرب كل هذه العلوم، وهذا أكمل في التلطف وإعلاء قيمة المخاطب وقدْره.

---

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ٤٣، طبعة/ مطبعة المدني القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٩١ م.

كما تضافر التعريف بالإضافة مع الأسلوب الخبري في دعم خصوصية التلطف؛ فـي قولـه" صُـرُوحَ العُلُـوم" فجـاء المفعـول بـه جمعـا معرفـا بالإضـافة؛ لإثبـات الكثـرة والتعظيم والتعميم، وكأن الغرب يريد أن يقول: أنت يا شرق من أقام كل صروح العلوم، كما أن هذا الصرح ليس كأي صرح، وإنما هو صرح عظيم يفوق الوصف، وليس هو صرح واحد، بل هي صروح كثيرة تشمل جميع العلوم.

ويظهر للبحث ما في الجملة الخبرية" وَأَنْتَ أَقَمْتَ صُرُوحَ العُلُومِ" من تلطف يَظهر من حِرص الغرب على إثبات التعظيم والفخر والعلو... للشرق، ونِسبة الفضل إليه، وإظهار منزلته ومكانته.

كما آثر الأسلوب الخبري القائم على التأكيد في قوله" وَلِلفَنّ أَنْتَ رَفَعْتَ العَلَمْ" ، فلم يقل" وللفن رفعت العلم" وإنما أعاد ذِكر المسند إليه وعرّفه بالضمير؛ للمزيد من الاختصاص والتأكيد، وهذا أكمل في التلطف، وأظهر في الاعتراف بالفضل.

كما تناغي التقديم مع الأسلوب الخبري في تدعيم خصوصية التلطف، فأصل الكلام" وأنت رفعت العلم للفن" فقدم المتعلق الجار والمجرور على الجملة الفعلية؛ للاهتمام بأمر الفن، والإقرار التام من الغرب على أن الشرق صاحب الفضل فيه، والتأكيد على أنه أول من شيّده ونبغ وعلا فيه، وأنه هو من أعطاه للغرب وصدّره له، فأي تقدم وأي تطور وأي نبوغ وصل الغرب فيه في أمر الفن؛ فإن الفضل يعود للشرق، وهذا غاية في التلطف، وحسن التأكيد، وجميل الاعتراف من الغرب؛ في الرد على خطاب الإقناع الذي صدر من الشرق له كي يُقلع عن أفعاله، حين قال الشرق في الأبيات السابقة:

ألم أعْطِكَ العلم غرْسًا نما لديْكَ، وأثْمرَ ما أثْمَرَا؟؟

ألم أعْطِكَ الفنّ حتى نحتّ الـ صخورَ وصوّرَ مَنْ صوّرَا؟؟

ويلحظ البحث تعاون الكناية مع الأسلوب الخبري في تدعيم خصوصية التلطف؛ في قوله" وَلِلفَنّ أَنْتَ رَفَعْتَ العَلَمْ" كناية عن صفة العلو والارتفاع والتقدم والازدهار... ، فقد اشتهر منذ القِدم في المعارك والحروب أن رفْع العلم يدل على الغلبة والعلو والتقدم والفوز... ؛ وهذا يدل على صفات العلو والارتفاع والتقدم... التي حدثت للفن على أيدي الشرق، فقد أصبح له عَلَم خاص به يُرْفع ويُقدم ويعلو ويرتفع ويزدهر... ؛ للدلالة على السّبق والتقدم، والذي قام بذاك التقدم والسّبق والعلو والرفعة... ؛ هو الشرق، وهذا أظهر في إرادة التلطف، والرغبة في التودد، وإثبات الإقناع.

وقد أفادت الكناية تجسيد الصورة التي أصبحت للفن، وتضمنت تلويحا ورمزا وإشارة تجاه ما وصل إليه الفن من تقدم ونبوغ ورفعة... ؛ وهذا أبلغ في التلطف، وأدل في إثبات العلو، وأفخم في إظهار التقدم، وأكمل في بيان الارتفاع، ولهذا كان للكناية من الإيحاء ما لا يبلغه التصريح؛ لأن" الصفةَ إذا لم تأتِكَ مُصرَّحًا بذِكْرها، مكشوفًا عن وجهها، ولكن مدلولًا عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانِها" .(١)

ثم عاد الشاعر إلى الأسلوب الخبري في البيت الرابع؛ ليقوى خصوصية التلطف؛ في قوله" وَكَمْ شِيمَةٍ" ابتدأ بـ" كم" الخبرية والتي تفيد معنى الكثرة، فجاء المسند إليه وبعده تمييز له؛ لإفادة التكثير والتعظيم، فالغرب يقول للشرق لك شيم كثيرة لا تحصى ولا تعد، والشيمة" الخُلق والطبيعة والعلامة" (٢) وهي ليست كأي شيم، ولكنها شيم كثيرة وعظيمة، وهذا يدل على رغبة الغرب في التلطف مع الشرق وتعظيم مكانته.

وقد شدّ التقديم من خصوصية التلطف؛ في قوله" لَكَ مَحمُودَةٍ" فقدم الجار والمجرور؛ لغرض التوكيد والاهتمام والاختصاص، فالغرب يُقر بأن الشرق هو

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٣٠٦.
(٢) لسان العرب ١٢/ ٣٢٩.

صاحب الشيم المحمودة، وهو من اختُص بها دون غيره، ففي الوقت الذي تُحمد فيه الشيم وتذكر وتسند إلى أصحابها؛ فإن الشرق هو صاحب الشيم المحمودة.

وتقديم الجار والمجرور أتى على لسان الغرب؛ ليخص الشرق بتلك الشيم، ويؤكد عليها، ذلك أن التقديم يفيد القصر ودلالته ذوقية" ولابد فيها من تناسق الدلالات الفنية للكلمات، وحسن رصفها، وقوة إيحائها، حتى يستطيع بذلك أن يوقع اللفظ المقدم موقعا حسنا مفيدا للقصر، فيكسب الأسلوب إيجازا، ويتم به التناسق الفني للأسلوب الأدبي".(١)

وزاد الأسلوب الخبري تقوية، وتضافر مع خصوصية التلطف؛ التشبيه في قوله" لَهَا لَمَعَانُ نُجُومِ الظَّلَمْ" حيث شبه لمعان الشيمة وكونها بلغت شهرة عظيمة بحيث يعلم بها القاصي والداني في كل مكان؛ شبّهها بلمعان النجوم في ظلمة الليل، والوجه هو مطلق الإضاءة في كل، وهو متحقق في جانب المشبه به، أما في جانب المشبه فهو على جهة التمثيل والتأويل، وهذا يفيد تعظيم وتفخيم وتأكيد وتقوية أمر الشيم، وأنها ليست محمودة فقط، وإنما لها لمعان وضوء وبريق وإشراق... كالذي للنجوم أثناء ظهورها بالليل.

وتقييد المشبه به بقوله" الظَّلَمْ" ؛ يُعد لفتة جميلة من الشاعر، حيث فصّل ودقق وبالغ في إثبات اللمعان والبريق والظهور... لتلك الشيم وأنها تلمع كلمعان النجوم في ليلة اشتدت فيها الظلمة، وهذا أكمل في اللمعان، وأقوى في الظهور، وأتم في بيان البريق والوضوح. وهذا ما أشار إليه الإمام عبد القاهر في قوله" أن تُفصّل، بأنْ تنظر من المشبَّه في أمور لِتعتبرها محلها، وتطلبها فيما تُشبّه به" . (٢) وبهذا يكون التشبيه قد حقق للشاعر غرضه في هذا السياق المُفعم بمعاني الإقرار والاعتراف بالفضائل والعطايا والتأكيد على المكارم والشيم من قبل الغرب في حق الشرق ومحاولته التلطف معه والتودد.

---

(١) بلاغة القصر دراسة نقدية تحليلية، أ. د. عبد العزيز أبو سريع ياسين،صـ ١٦٥، طبعة/ أولى ١٩٨٧ م.
(٢) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ١٦.

المبحث الرابع: خصوصية التهديد والتحذير

التهديد والتحذير نوع من الخطاب الذي يسعى فيه المتكلم إلى توجيه التوعد والتحذير ونهج أسلوب الشدة والوعيد والعقاب للمخاطب؛ رغبة في ترهيبه وإخافته وحمله على فِعل ما يريد، وقد تضمنت تلك القصيدة في ثنايا أبياتها تلك الخصوصية في موضعين، أحدهما على لسان الغرب، والآخر على لسان الشرق.

الموضع الأول: ورد على لسان الغرب بعد نهْج أسلوب التلطف مع الشرق؛ اتجه إلى توجيه التهديد والتحذير وإظهار القوة، فقال:

أنَا نَمِرٌ يَا أخِي فَاتِكٌ فَكُنْ أسَدًا تَنْجُ مِنْ فَتْكَتِي
إذَا كُنْتَ مِثْلِى قَوِيّا فَأنْتَ أخٌ لِي تَحْذَرُهُ قُوّتِي
وَإنْ كُنْتَ أضْعَفَ مِنّى فَلَا أرَاكَ أخًا لِي بَلْ لُقْمَتِي
أخَافُ القَوِىّ فَأمّا الضّعِيفُ فَلَسْتُ أرَاهُ سِوَى أكْلَتِي
أنَا أيّهَا الشّرْقُ وَحْشُ الوُحُوشِ فَوَيْلٌ لِمَنْ حَلّ فِي قَبْضَتِي
وَآيَاتُ عِلْمِي وَإنْ أعْجَزَتْ فَلَيْسَتْ بِوَحْيٍ أتَى مِنْ عَلِ
وَلَكِنّهَا وَحْىُ شَيْطَانِ عَقْلٍ بِهِ يَبْتَلِى اللهُ مَنْ يَبْتَلِى
نَعِمْتُ بِهَا جَنّةً كُلّهَا ظِلَالٌ وَأنْتَ بِهَا تَصْطَلِي
أنَا الغَرْبُ يَا شَرْقُ كُلّ اخْتِرَاعِي لِوَضْعِكَ يَا شَرْقُ فِي المِرْجَلِ
فَعِنْدِي مِنَ العَقْلِ خَيْرُ العُقُولِ وَلَكِنْ أعِيشُ وَلَا قَلْبَ لِي

ويلمح البحث أن الشاعر أسّس لخصوصية التهديد والتحذير؛ أسلوب التشبيه وجعله أسلوبا رئيسا، ثم أتي بما يدعم ويقوي تلك الخصوصية من أساليب أخر، فبدأ

بقولـه" أنَا نَمِرٌ" وهو تشبيه بليغ يفيد إثبات القوة والشدة والفتك... ، وأن الغرب بلـغ مبلغا عاليا في ذلك، فصار كالنمر المعروف بفتكه وافتراسه وقوته... .

كمـا أن خصوصـية السياق حيث الغرب يهدد الشرق ويحـذره، ويفتخـر ويعتـز بنفسـه، يظهر ذلك من تعريف المسند إليه بالضمير فـي" أنَا نَمِرٌ" ؛ فاستدعت تلك الخصوصية أن يجيء المشبه به عنصرا حيوانيا جمَع صفات القوة والشراسة والفتك والـنهم والخطـف والـنهش... وهو النمر. ذلك أن لفظ النمر" فيه زعارة خلق، وحدة نفس، وتجهم وجه، وشدة غيظ، ولهذا يقال في الرجل إذا اشتد غضبه وكثر غيظه على عدوه: " لبس له جلد النمر" أي تخلق بأخلاقه" . (١)

ومـن مُتممـات التشـبيه قولـه" يـا أخـي فاتـك" ؛ ليشـير ويؤكـد الغـرب علـى فتكـه، ويبالغ في افتراسه، وليبرز قوته ويعززها، وكذا لزيادة التهديد والتحذير للشرق؛ فالأمر ليس سهلا، فالغرب تمكّن في الوحشية والفتك... ، وأصبح ذا خطر وقوة ورهبة....

وقد تآزر النداء والتقديم مع التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ في قولـه" أنَا نَمِرٌ يَا أَخِي فَاتِكٌ" ، فالنداء يبين مدى امتلاء نفس المتكلم بالأمر المطلوب إبلاغه للمخاطب، ومدى شعوره بقوة الخبر القادم. كما أن تقديم النداء على الصفة الخاصة بالنمر جاء؛ لغرض الاهتمام بأمر المنادى، وبيان عناية الغرب من حيث توجيه التحذير للشرق.

كما أن توسط النداء بين المشبه به والوصف؛ يوحي بمزيد من الاستعلاء والكبْر الذي يمارسه الغرب على الشرق، ويدعم خصوصية التهديد والتحذير، فالغرب يريد أن يقول للشرق أنا مُحيط بك من كل الجهات، وأنت في قبضتي وحوزتي؛ فأنت يا شرق

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، ت. ٢٤٣/٩، طبعة/ دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، طبعة/ أولى١٤٢٣هـ.

واقع بين قوة النمر وفتكه؛ فأني لك من مخرج؟؟ ؛ فبادِر وكن أسدا حتى تنجو من ذلك.

وهكذا رسم الشاعر صورة كاشفة وموضحة لاستعلاء الغرب وكبْره، وجعلتنا نتأمل ما فيها من معاني العظمة والاستعلاء والقوة... التي قصد الغرب أن يدّعيها ويثبتها لنفسه، وكذا التهديد والتحذير الموجه للشرق؛ فاستطاع الشاعر أن يجعل المتلقي يعيش جو الصورة من خلال التقديم والتأخير بين جمله. ذلك أن" الصورة في المصطلح البلاغي ما يدركه المتأمل في المعاني من فوارق دقيقة بين هيآتها وأشكالها وملامحها، وأشياء كثيرة غامضة يفترق بها المعنى في الذهن، وتكون له في النفس هيئة لا تكون لغيره" . (١)

ثم انتقل الشاعر إلى صورة تشبيهية أخرى تُؤسس خصوصية التهديد؛ في قول الغرب للشرق" فَكُنْ أَسَدًا تَنْجُ مِنْ فَتْكَتِي" فاستخدم العطف بـ" الفاء" للتعقيب، فالغرب يريد أن يقول للشرق، أنا نمر صفتي كذا وكذا... ؛ فيجب على ك أن تسارع أنت وتكن أسدا كي تنجو من فتكي وبطشي... .

ومما يدعم خصوصية التهديد قوة؛ اختيار الغرب صورة الأسد في تشبيه الشرق، ففي جانب نفسه اختار النمر، فما تلك المفارقة!! ولماذا لم يقل" فكن نمرا تنج... ؟؟ ، وهذا يدل على أن الغرب يريد أن يُظهر نفسه أنه البطل الذي لا يُغلب، والفارس الذي لا يقهر، والقوي الذي لا يتمكن منه أحد، ومن ثم اختار النمر في تشبيه نفسه، والأسد في تشبيه الشرق، وهذا تهديد وتحذير قوي من الغرب.

ذلك أن النمر معروف عنه القوة والغلبة على الأسد في أغلب الجولات والمعارك التي تحدث بينهما. ويُذكر أنه" في نهاية القرن التاسع عشر نظمت الهند قتالا بين

---

(١) دراسة في البلاغة والشعر، أ. د. محمد أبو موسى، صـ ٦٩، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٩١ م.

أسد بربري يُدعى" أطلس" ونمر البنغال الهندي أمام جمهور من الآلاف بهدف تحديد ما إن كان الأسد يستحق لقب" ملك الغابة" أم لا، وجرت المعركة في مسرح دائري الشكل... ، وتم نقل الحيوانات من حظائرهم في أقفاص خشبية إلى المدرج... ، واستمرت المعركة لستة جولات وانتهت المعركة بفوز النمر بعد أن وجّه ضربات متتالية ضد الأسد، وتم دفن الأسد حسب المراسم الملكية، وقدموا للنمر قفصا خاصا تكريما لمبارزتهما" . (١)

إذن: يري البحث ـ على سبيل المسامحة لا القطع ـ أن الغرب يهْدف؛ إلى إظهار قوته، وأنه المُستعلي دائما، والأقوى في كل حال، فعلي الشرق أن يعرف هذا، وأن يعلم أن الغرب قاهر لا يُقهر، وفاتك لا يُفتك، وغالب لا يُغلب، وهذا أدعى إلى ميول الغرب نحو تشبيه الشرق بالأسد؛ ليحقق لنفسه الغلبة من جهة، وليجمع مزيدا من التهديد والتحذير من جهة أخرى.

وهذا ما أكده قوله عقب التشبيه" تَنْجُ مِنْ فَتْكَتِي" حيث لم يقل" تنج مني" وإنما أظهر النجاة من فتكته، أما القوة فهي ثابتة راسخة موجودة، والشرق قد نجا من شره فقط، ومن بطشه فقط، ومن فتكته فقط. ويزيد المعنى وضوحا والتشبيه بيانا؛ ربْط الغرب بين التشبيه وبين سبب النجاة، فالنجاة لا تتحقق إلا بتحقق الشبه.

ثم انتقل الشاعر إلى صورة تشبيهية تحمل مزيدا من التهديد والتحذير؛ فقال على لسان الغرب مخاطبا الشرق:

إِذَا كُنْتَ مِثْلِي قَوِيّا فَأَنْتَ أَخٌ لِي تَحْذَرُهُ قُوّتِي

وَإِنْ كُنْتَ أَضْعَفَ مِنّى فَلَا أَرَاكَ أَخًا لِي بَلْ لُقْمَتِي

---

(١) https://sptnkne.ws/at4c.

أول ما يدركه البحث من هذا البيت؛ هو رغبة الغرب في توجيه المزيد من التهديد والتحذير للشرق؛ فلما جري الكلام في البيت السابق على لسان الغرب حين وجّه الشرق نحو القوة والشدة، واختار التشبيه بالأسد؛ اتجه هنا إلى إبراز المزيد من التهديد، فقال" إذَا كُنْتَ مِثْلِى" ليُظهر المزيد من القوة لنفسه، ويجلي عن فضل التمكن، ويكشف عن مكانته، ويطلب من الشرق أن يكون مثله في القوة حتى ينجو من فتكته، وقوله" مِثْلِى" أي في قوتي وبطشي وفتكي... وما أوتيت من صفات.

وقد تناغي التقديم مع أسلوب التشبيه في دعم خصوصية التهديد؛ في قوله" إذَا كُنْتَ مِثْلِى" وأصل الكلام" إذا كنت قوياً مثلي" ؛ وهذا يهدف إلى رغبة الغرب الشديدة في إظهار قوته، وحرصه على تحقيق المِثلية، فكأن كل القُوَى، وكل الفتك، وكل البطش، وكل الشدة... اختزلوا فيه، واقتصروا عليه، ومن ثم تطلّب لكل من يبغي النجاة؛ أن يتمتع بمِثل هذا، فليس المراد حصول الشرق على القوة ذاتها، وإنما المراد قوة خاصة ومعينة موجودة في الغرب، وهذا غاية التهديد والتحذير.

وكأن أي قوة أخرى بخلاف القوة التي عند الغرب لن تجدي نفعا، ولن تكون صدّا وردعا من توجيه قبضته وقوته نحوك يا شرق، ومن هنا آثر تقديم جملة الحال؛ لحرصه على التأكيد والاهتمام بالقوة وتخصيصها وتعيينها. ويحضرني قول شيخ البلاغيين/ محمد أبو موسى" وذلك كله في ضوء تحليل الدلالة وتحديدها، وأنا أكره القطيعة بين النحو والبلاغة، وأرى أن دارس البلاغة والأدب يبعد عن البلاغة والأدب بمقدار بعده عن النحو" . [١]

وقد تضافر رد العجز على الصدر مع التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ في قوله" تحذره قوتي" ؛ وهذا يشي بترابط الكلام وتلاحم أجزائه، كما يدل على القوة التي

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ. د. محمد أبو موسى، صـ ٢١٨.

يريد الغرب أن يصف بها نفسه، فلم يقل" إذا كنت قويا فأنا أحذَرُك في هذه الحالة" وإنما أعاد أمر القوة؛ ليعمل على ربط قوته بقوة الشرق التي يريد منه أن يحققها حتى ينجو من تهديده وتحذيره وفتكه.

كما تضافرت الاستعارة في دعم خصوصية التهديد؛ في قوله" تَحْذَرُهُ قُوّتِي" حيث شبه الغرب القوة والشدة والبطش ... اللاتي عنده؛ بإنسان، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الحذر على سبيل الاستعارة المكنية.

والاستعارة ترسم صورة واضحة عن قوة الغرب وغلبته وقهره... ، فالقوة تجسدت وصارت تتصف بما يتصف به الحي، ومن ثم فهي تحذر وتخشى وتتجنب وتتقِي... من تراه مِثْلها فقط، كما كشفت الاستعارة عن قوة الغرب الذي لا يخشي أحدا إلا من يراه مثله في القوة، أما من دون ذلك؛ فهو فريسته ومطعمه وصيده الذي لا يمكنه أن يهرب من قبضته.

كما يلمح البحث تعانق بناء الجملة علي أسلوبي الشرط والجزاء؛ مع التشبيه في تدعيم خصوصية التهديد؛ في قوله" إذَا كُنْتَ مِثْلِى قَوِيّا فَأَنْتَ أَخٌ لِي" فصار الكلام مرتبطا متلاحما كالجملة الواحدة، وثبت مُراد الغرب ومقصده من الحذر والتهديد؛ فيريد أن يقول للشرق: إذا كنت مثلي في القوة؛ فأنت أخ أحذره وأخشاه، فالحذر يوجد إذا وجدت القوة المماثلة لقوتي. ذلك أن" الشرط والجزاء جملتان، ولكن نقول أن حكمهما حكم جملة واحدة من حيث دخل في الكلام، معنى يربط إحداهما بالأخرى حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل الفائدة" . (١)

ولا يغفل البحث عن تضافر المتعلق مع خصوصية التهديد؛ في قوله" وَإِنْ كُنْتَ أَضْعَفَ مِنّى" فجاء المتعلق فعلا يدل على التفضيل؛ للمزيد من الاختصاص، فالغرب

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ١١.

يريد أن يقول للشرق: أنا أريد الضعف الخاص بي، فإن كان لديك أي ضعف آخر تراه في نفسك؛ فأنا لا يعنيني ذلك، وإن كان لديك أيضا أي قوة في نفسك، أو أمام شخص بعينه؛ فهذه القوة لا تعنيني طالما ليست مثل قُواي، فأنت في هذه الحالة أضعف مني، وهذا غاية في التهديد.

وقد تآزر بشدة أسلوب القصر مع خصوصية التهديد؛ في قوله" فَلَا أَرَاكَ أَخًا لِي بَلْ لُقْمَتِي" وهو قصر موصوف على صفة، فالغرب نفى عن الشرق صفة الأخوة، وأثبت له كونه لقمته. وقد أفاد القصر زيادة تأكيد مضمون الكلام القائم على التهديد والتحذير من الغرب، فلو قال مثلا" وإن كنت أضعف مني فأنت لقمتي" ، لما أفاد الكلام التأكيد الذي أفاده القصر.

والقصر قصر قلب؛ لأن الشرق يعتقد اعتقادا تاما أنه في حالة قوته أو ضعفه؛ سيكون مبدأ الأخوة قائما بينه وبين الغرب؛ لأن الأخوة صفة قائمة بين العباد، لا تتعلق بالقوة والضعف، فلو كان قيامها مرتبطا بما عليه العباد من قوة وضعف؛ لاعتدى الناس بعضهم على بعض، وفسد المجتمع، وأكل القوي الضعيف؛ لذا كانت الأخوة قائمة بين جميع العباد على اختلاف صفاتهم التي يكونوا عليها، وطبقاتهم التي ينتمون إليها. وهذا هو اعتقاد الشرق، لكن المتكلم هنا قد قلب اعتقاده وغيّره، وجعل مبدأ الأخوة غير موجود في حالة الضعف.

كما أن القصر عمل على تقرير الصورة السيئة التي عليها الغرب، وأكد وحشيته وقبحه، وحرصه على توجيه التهديد للشرق، فالضعيف الذي يحتاج إلى أن يعيش في كنف القوي ورعايته وحمايته وظله... ؛ الغرب لا يفعل شيئا من هذا!! ، بل إنه لا يتركه يعيش ويتعايش بضعفه المُستكن، وإنما يسطو عليه ويبطش، ويجعله غذاءه وطعامه ولقمته. وهذا المعني الكامل أظهره القصر وأكده وحدده في أخصر عبارة

وأقصر لفظ. ذلك أن القصر" يتميز بوجازة العبارات، وضيق مساحتها، إذ أنها تنهض في أداء المعنى بما تنهض به جملتان حين تثبت حكما وتنفي حكما آخر" . (١)

ثم انتقل الشاعر وقال على لسان الغرب:

أَخَافُ القَوِىّ فَأَمّا الضّعِيفُ فَلَسْتُ أرَاهُ سِوَى أكْلَتِي

أنَا أيّهَا الشّرْقُ وَحْشُ الوُحُوشِ فَوَيْلٌ لِمَنْ حَلّ فِي قَبْضَتِي

هذا وقد تشابك الطباق في تدعيم خصوصية التهديد؛ في قوله" أَخَافُ القَوِىّ فَأَمّا الضّعِيفُ" وهو طباق ظاهر بين حالتي القوة والضعف، وقد كشف الطباق عن سوء طباع الغرب، وعدم مراعاته للحقوق، ورغبته القوية في تهديد الشرق وتحذيره، فالغرب لا يحفظ ضعيفا، ولا ينصر مظلوما، وإنما هو يحيا حياة غريبة، حياة وحشية، لا إنسانية فيها ولا رحمة ولا عدل... ، وإنما مبنية على الاعتداء والطغيان... ، فيرتدع من القوي، وينهش... الضعيف. وهذا ما اتضح من خلال الطباق، فالطباق مع تجميله اللفظ" فإنه يؤدي غرضا معنويا، حيث يستوعب الحكم كاملا، كما يأتي لعقد مقابلة حسية ونفسية أو زمانية، ومنه ما يكتشف أجزاء القضية ويبرز أطرافها، مما يؤكد أن الطباق من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع ، إذ الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده" . (٢)

كما ساعد القصر والكناية وتآزرا مع خصوصية التهديد؛ في قوله" فَلَسْتُ أرَاهُ سِوَى أكْلَتِي" وهو قصر موصوف على صفة، وقد أفاد ما أفاده في البيت السابق من إظهار القوة والفتك والافتراس والقتل... في حالة الضعف، بيد أن القصر اختلف

---

(١) التصوير البياني في شعر المتنبي، أ. د. الوصيف هلال الوصيف، صـ ٩٠، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة/ أولى ٢٠٠٦.

(٢) البديع رؤية جديدة، د . عبد الله دراز، صـ ١٤.

طريقه هنا عن السابق، فجاء بطريق النفي والاستثناء" ؛ لأن هذا الطريق الذي يستخدم غالبا في الأمر الذي ينكره المخاطب ويجهله، فكوْن الغرب على هذه الصورة من القوة وشدة الفتك، وأنه لا يُبقي الضعيف وإنما يجعله غذاءه وطعامه؛ أمر غريب تتوقف النفوس في قبوله، ويكون منها إنكار له ودفع؛ ولذا كان القصر بالنفي والاستثناء.

والكلام كناية عن صفة السيطرة على الضعيف، والاستعلاء عليه، وسلب ثرواته، ونهب ممتلكاته، وسرقة أمواله، واستعباد أبنائه، وأخذ كل خيراته، وكلها معان مشوبة بالتهديد والتحذير. وقد أبرزت الكناية كل هذه المعاني، ذلك أن الكناية" من أروع الفنون البيانية وأرقى الطرق البلاغية التي يعبر بها المتكلم عن المعنى الذي يريده تعبيرا موجزا هادفا لطيفا يُخفي وراء ظلاله أهدافا ولطائف يريدها ويقصدها" . [١]

هذا: ويظهر جليا تلاؤم ألفاظ الشاعر وتعاونها مع أسلوب التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ ففي البيت السابق لهذا البيت قال الغرب" فَلَا أَرَاكَ أَخًا لِي بَلْ لُقْمَتِي" وفي هذا البيت قال" فَلَسْتُ أَرَاهُ سِوَى أَكْلَتِي" فعبّر في الأول بلفظ" اللقمة" وفي الثاني بلفظ" الأكْلة" والْأَكْلَةُ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ حَتَّى تَشْبَعَ وَبِالضَّمِّ اللُّقْمَةُ الْوَاحِدَةُ" . [٢] فلما كان في البيت السابق يوجه الخطاب للشرق؛ وصفه في حالة الضعف؛ أنه سيكون لقمته، واللقمة هي المرة الواحدة من الطعام دون شبع؛ وهذا يدل على سرعة قضاء الغرب على الشرق، كما يكشف عن عدم اكتفائه بدماء أبناء الشرق، فما هي إلا لقمة لا يشبع بعدها، وسيحتاج مزيدا من الدماء. ولما كان في البيت الثاني لا يوجه الخطاب للغرب، وإنما يجعل الأمر عاما ومطردا؛ عبّر بالأكلة للدلالة على أن

---

(١) من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، د. حمزة الدمرداش زغلول، صـ ٦، طبعة/ المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٨٨ م.

(٢) مختار الصحاح ١/ ٢٠.

الأمر سيحتاج منه وقتا حتى يحصل بعده على الشبع والانتهاء؛ وهذا يدل على انتهاكه للحقوق، وأنه يود أن يقضي على الشعوب وينتهي من أمرها؛ ولا يوجد على الكون غيره.

وهذا أكمل في التهديد، وأنسب في التحذير، ويعد حسنا من الشاعر في التعبير واختيار كل لفظ في موقعه حتى يصنع تأثيرا خاصا مع ما يجاوره. ذلك أن" أحسَنُ الشَّعْر مَا يُوضَعُ فِيهِ كلَّ كَلِمَةٍ مَوْضِعَهَا حَتَّى تُطابِقَ المَعْنَىَ الَّذِي أرِيدَتْ لَهُ، ويكونُ شَاهِدُهَا مَعَهَا لَا يحتاجُ إِلَى تَفْسِير من غَيرِ ذاتِها" . (١)

ثم راح الشاعر يواصل التأكيد على خصوصية التهديد؛ فعاد إلى التشبيه في قول الغرب" أنَا أيّهَا الشّرْقُ وَحْشُ الوُحُوشِ" فشبه الغرب نفسه بوحش، ولم يكتف بكونه وحش، فالوحوش كثيرة، فقام بتقييد المشبه به بقوله" وَحْشُ الوُحُوشِ" ، وكأنه رأى أن هناك من الوحوش من يُعْتدي على هـ، ومنهم من يُهْزم؛ لذا قام بتقييد المشبه به.

وتضفى الصورة التشبيهية التي خلت من الوجه والأداة؛ ألوانا شتى وظلالا من المعاني على الغرب، فهو وحش الوحوش، وهو يقهر كل الوحوش، وهو القوي حيث لا أقوى منه، وهو الغالب المنتصر في كل المعارك. كما أن التشبيه يجعل بين الغرب ووحش الوحوش اتحاد قوي وشبه آكد؛ لذا جاء بليغا مؤكدا؛ مبالغة في الاتحاد والشبه الذي بينهما، وهذا من محاسن التشبيه هنا؛ فأبرز المعنى وجلاه وقواه وكشف عنه.

ويظهر للبحث أثر العطف في تقوية خصوصية التهديد؛ في قوله" فَوَيْلٌ لِمَنْ حَلّ فِي قَبْضَتِي" فجاءت الفاء للترتيب والتسبب، فما بعدها مترتب على ما قبلها، فالغرب

---

(١) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، تحقيق. د. عبد العزيز بن ناصر المانع، صـ ٢١٥، طبعة/ دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية ١٩٨٥م.

وحش غالب؛ فليحذر كل من يحاول الاقتراب، وكل من يظن القوة؛ لأنه إن حل في قبضته سيقضي عليه؛ لذا قال" فويل" وهي كلمة دعائية للزجر والحض والتوعد والترهيب، كما أنها تكشف عن غضب الغرب الشديد، وتنكيله بكل من يحاول أن يقترب منه، وهذا أقوى وأبلغ وأمكن في التهديد والتحذير.

وقد تناسب حذف المفعول مع خصوصية التهديد؛ في قوله" وَآيَاتُ عِلْمِي وَإِنْ أَعْجَزَتْ" فحذف المفعول؛ لغرض العموم، وزيادة الفخر، وإثبات الشهرة، فالمراد عدم قصر إعجاز الآيات على الشرق، وإنما هي بلغت حدا عاليا من الشهرة ومن الإعجاز، فكل من تتأتى منه الرؤية سيرى إعجازها، وسيرى شهرتها، وستبهره تلك الآيات.

ثم انتقل الغرب وأخبر عن تلك الآيات، فقال:

وَلَكِنّهَا وَحْيُ شَيْطَانِ عَقْلٍ بِهِ يَبْتَلِى اللهُ مَنْ يَبْتَلِى

ويتجلي للبحث ما في البيت من صورة تشبيهية تؤسس بقوة لخصوصية التهديد؛ في قوله" وَلَكِنّهَا وَحْيُ شَيْطَانِ عَقْلٍ" والعطف مترتب على ما قبله، فحين أخبر عن الآيات بقوله" فليست بوحي أتى من عل" جاء البيت تعليلا لما قبله؛ لبيان أن الآيات ليست من وحي السماء، وإنما هي من وحي شيطان العقل الذي امتلكه الغرب.

فشبه الآيات التي امتلكها بأنها وحي؛ ثم قيد المشبه به وجعلها من وحي شيطان العقل؛ إشارة إلى ما يحمله الغرب في عقله من شرور وضغائن وأحقاد وفساد... تجاه الآخرين، فآياته أتت من وحى شيطان، والشيطان معروف عنه الإفساد والغواية والإضلال والشر... ، والعمل على إيقاع الخلق في الغِي ونشر الخراب. والتشبيه أبرز عقل الغرب، وما يحمله في لُبه وفؤاده للشرق من شر وفساد وسوء... ، فآيات علمه من وحي شيطان، فسيعمل جاهدا على إفساد الشرق بتلك الآيات، وسيصرف الشرق عما ينفعه، وسيسخر عقله وآياته في تدميره وإهلاكه، وهذا غاية التهديد والتحذير.

وقد تشابك القصر مع التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ حيث قصر الآيات على كونها من وحي شيطان العقل؛ ليشير إلى أن هذه الآيات؛ ستكون بلاء ونقمة على غيره، فهي ليست بوحي أتى من السماء ولها ما لها من الضوابط النبيلة، والقيم العليا، والمُثل التي تحفظ للناس حقوقهم... ، كما أنها ليست من وحى عقل يعرف الضوابط والقوانين اللازمة لكل عِلم، وإنما هي وحي شيطان عقل، ومن ثم ستكون بلاء ونقمة ودمارا وخرابا... على الآخرين، وهذا أقوى في التهديد والتحذير.

وقد تآزر الرجوع مع خصوصية التهديد؛ فعندما قال" وَآيَاتُ عِلْمِي وَإِنْ أَعْجَزَتْ" تضمّن هذا الكلام ذِكر الإعجاز والمعجزات والتعجيز، وهذا الأمر يكون عن طريق الوحي من السماء؛ فجاء الشطر الثاني ليعود على هذا الكلام بالنقض، فقال" فَلَيْسَتْ بِوَحْي أَتَى مِنْ عَلِ" ، ثم بعد ذلك جاء بالتعليل في البيت التالي" وَلَكِنّهَا وَحْىُ شَيْطَانِ عَقْلٍ... " .

وهذا قد جعل كلامه متحدا ومتلائما ومترابطا، وعمِل على تشويق وإثارة ذهن المخاطب لما سيلقيه؛ وهذا رغبة من الغرب في توجيه التهديد للشرق في صورة قوية، وبطريقة تلفت انتباهه، وتستدعي ذهنه، كما حرص الشاعر على تنوع الأسلوب في القصيدة تنوعا يحقق توظيف البلاغة بمفهومها الواسع، فجعل من تشابك عناصر الكلام، واتحاد أجزائه، وتداخل بعضها ببعض؛ بناء مترابطا محكما متمثلا قول الإمام عبد القاهر" واعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أنَ يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المَسْلكُ، في توخِّي المعاني التي عرفتَ: أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجِملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحدا، وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني يَضعُ بيمينه ههنا في حالِ ما يَضَعُ بيَسارِهِ هناك. نَعم، وفي حالِ ما يُبْصر مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يَضعُهما بَعْدَ الأَوَّلَيْن. وليس لِما شأْنهُ أن يجيءَ على هذا الوصفِ حَدٌّ يَحْصرُه، وقانونٌ يُحيطُ به ، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتَّى، وأنحاءَ مختلفةٍ" . (١)

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٩٣.

ثم انتقل الغرب وقال عن الآيات:

نَعِمْتُ بِهَا جَنّةً كُلّهَا ظِلَالٌ وَأنْتَ بِهَا تَصْطَلِي

والمتأمل في البيت؛ يظهر له رغبة الغرب في توجيه التهديد للغرب؛ فأسّس صورة تشبيهية ثانية لآيات علمه، فشبهها بالجنة، وهو يتمتع بها، ويستفيد بنعيمها؛ ويستظل بظلالها، أما الغرب فيكتوي بنارها ولهيبها.

وقد أفاد التشبيه المبالغة في الأمور التي وصل إليها الغرب عن طريق العلم، فهو ينعم ويتنعم ويحيا في رغد ورفاهية ولذة عيش... ، ويستظل فيها بأشجار كثيرة، وهذا أوْقع لما يحياه من نعيم، ويُنبئ عن تمتعه بتلك الآيات، ومدى أنه تظلّل واستفاد بها أيما إفادة.

وهذا أبلغ في بيان التمتع، وأكمل في إبراز الاستفادة، وأدخل في النص على تحقق النفع منها، ومن ثم أدل في توجيه التهديد للشرق، فتلك الآيات أشبه بجنة بالنسبة للغرب، إنما الشرق سيكتوي ويحترق بها. وهذا قد تم بفضل التشبيه الذي أبرز استفادة الغرب وتنعمه ورغده بتلك الآيات بصورة من يتنعم في الجنة ويستظل بظلال أشجارها وبساتينها الكثيرة المثمرة، ولو أن الغرب قال" نعمت بتلك الآيات" ؛ ما أفاد مثل ما أفادته الصورة التشبيهية.

وقد تناغم التقديم مع التشبيه في تدعيم خصوصية التهديد؛ في قوله" وَأنْتَ بِهَا تَصْطَلِي" ؛ فقدم المسند إليه" وَأنْتَ" على المسند" تَصْطَلِي" ، كما قدم المتعلق الجار والمجرور" بهَا" ، والتقديم في الأول أفاد الاختصاص، والتقديم الثاني للتأكيد والمحافظة على الوزن، فالغرب يوجه خطابه للشرق، ويخصه بالاكتواء بنار تلك الآيات والعلوم التي وصل إليها، فالشرق سيُحرق بتلك الآيات، وسيعاني من لهيبها، ويصطلي من حرّها، ويتألم من سخونتها، ثم أكد على ذلك بتقديم الجار والمجرور عقب تقديم المسند إليه، وهذا أشد في التهديد وأقوى.

وتقديم الجار والمجرور يؤكد تلك الحقيقة التي خصّ الغرب بها الشرق من حيث الاكتواء بنار تلك الآيات. فالتقديم يفيد القصر ودلالته ذوقية" ولابد فيها من تناسق الدلالات الفنية للكلمات، وحسن رصفها، وقوة إيحائها، حتى يستطيع بذلك أن يوقع اللفظ المقدم موقعا حسنا مفيدا للقصر، فيكسب الأسلوب إيجازا، ويتم به التناسق الفني للأسلوب الأدبي" . (١)

وبذلك تسهم الصورة الكلية التي ساقها الغرب ورسمها للآيات، ونوّع في وقْعها، فهي بالنسبة له جنة ينعم ويتظلل فيها، أما بالنسبة للشرق فهي نار يصطلي ويكتوي بها. فساهم التصوير والتقديم الذي حصل بين الجمل؛ في إدراك الظلال المرجوة، والإيحاءات المتعددة والمتنوعة بما يحقق الإقناع والإمتاع للقارئ. ذلك أنه" لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصفة إن لم يقدم فيه ما قدم، ولم يؤخر ما أخر... فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصفة، أفي الألفاظ يحصل له ذلك أم في معاني الألفاظ".(٢)

هذا: وقد أخطأ الشاعر حينما عبّر بلفظ" تَصْطَلِي" ذاك أن الغرب يريد أن يخبر عن استفادته بآياته، وأنه يتمتع ويتنعم بها، أما هي بالنسبة للشرق؛ نار يكتوي بها ويعاني من لهيبها، ولفظ" تصطلي" لا يدل على هذا المعني، وإنما يدل على الانتفاع من النار والحصول على التدفئة والمنفعة منها، يقال" اصْطَلَى بالنَّارِ: اسْتَدْفَأَ بهَا" . (٣) ومنه قوله تعالى﴿ **سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لعلكُمْ**

(١) بلاغة القصر دراسة نقدية تحليلية، أ. د. عبد العزيز أبو سريع ياسين، صـ ١٦٥، طبعة/ أولى ١٩٨٧ م.

(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٣٦٤.

(٣) تاج العروس، ٣٨/ ٤٣٥.

تصْطَلونَ﴾ [1] ومحال أن يكون الغرب مقصده حصول التدفئة والمنفعة للشرق من تلك الآيات، وإنما هو يريد أن يجعل تلك الآيات نارا ولهيبا وحرا واكتواء... على الشرق، ومن ثم فقد أخطأ الشاعر في تخيره هذا اللفظ.

ثم انتقل الغرب وقال مخاطبا الشرق:

أَنَا الغَرْبُ يَا شَرْقُ كُلّ اخْتِرَاعِي لِوَضْعِكَ يَا شَرْقُ فِي المِرْجَلِ

فَعِنْدِي مِنَ العَقْلِ خَيْرُ العُقُولِ وَلَكِنْ أعِيشُ وَلَا قَلْبَ لِي

هذا البيت يكشف بوضوح عن أغراض الغرب وأهدافه، فهو يريد القضاء التام على الغرب، وقد تعاون تعريف المسند إليه بالضمير في تقوية خصوصية التهديد في قوله" أَنَا الغَرْبُ يَا شَرْقُ" فعرّف المسند إليه؛ لإرادة الفخر والتعظيم، فالغرب يفتخر ويعتز بنفسه، ويريد أن يمارس قوته على الشرق، وأن يجعل نفسه أعلى منه، وأن يُظهر أنه أعظم، ويبرز أنه أشد... ، وهذا أقوى في التهديد .

ويلمح البحث تآزر النداء في تدعيم خصوصية التهديد؛ في قوله" أَنَا الغَرْبُ يَا شَرْقُ... " حيث لم يقل" أنا الغرب كل اختراعي... " وإنما آثر النداء؛ للإشارة إلى أن الشرق أدنى منزلة منه، وأقل مكانة منه، وأنه بالنسبة للغرب أصبح حقيرا بعيدا، وهذا أبلغ وأقوى في التهديد الذي بدا جليا من خلال قوله في نهاية البيت" لوضعك يا شرق في المرجل" .

كما تعاون التكرار في تقوية خصوصية التهديد؛ في قوله" لِوَضْعِكَ يَا شَرْقُ فِي المِرْجَلِ" ، المرجل هو" القدر من الطين المطبوخ" . [2] فكرّر النداء؛ لإبراز المعنى وتقريره في النفس، ولفت انتباه الشرق، وإثارة ذهنه كي ينتبه للتهديد والتحذير المُوجه

---

(١) سورة النمل، الآية ٧.

(٢) المعجم الوجيز، باب/ الراء، مادة/ رجل، صـ ٢٥٧.

إليه. كما أن التكرار يدل على حرص الشاعر على إثارة المتلقي وجعله يتفاعل مع ما يقوله، حتى يعرف جيدا رغبة الغرب، ويقف على ما يخطط له، ويعلم حقيقته التي يسعي إليها، وهدفه الذي يعزم عليه. وهذا ما أبرزه التكرار هنا، يقول شيخ البلاغيين/ محمد أبو موسى" وتأكدْ أن الشاعر لا يعيد كلمة أو جملة أو معنى إلا وهو يريد أن يؤكد ذلك في نفسك، وأن يجعله جذرا من جذور معاني شعره" . (١)

ويظهر للبحث تناغم كمال الاتصال في دعم خصوصية التهديد؛ في قوله" لِوَضْعِكَ يَا شَرْقُ فِي المِرْجَلِ" فحينما قال" أنَا الغَرْبُ يَا شَرْق كُلّ اخْتِرَاعِي" اشتملت الجملة على نوع من الخفاء والإبهام، وأثارت سؤالا؛ فجاء قوله" لِوَضْعِكَ... " لإزالة الخفاء والإبهام الموجود في الجملة الأولى.

وقد أفاد كمال الاتصال؛ تطلعا في النفس وأثرا حسنا، حيث هيأ النفس وجعلها يقظة متطلعة للكلام القادم، كما أنه عمد إلى الربط الكلي بين اختراعات الغرب وبين هدفه منها، فصار الغرب كأنه لا يرغب في الاستفادة من أي اختراع بقدْر ما يهدف من خلاله إلى القضاء على الشرق، فالغرب لا يسعي نحو الاختراعات لذاتها؛ وإنما ليدمر بها الشرق، ويقضي عليه، ويضعه في القِدر، وهذا أكمل في توجيه التهديد، ويدعمه قوله" كل اختراعي" فأتي بلفظ العموم ليفيد أن جميع اختراعاته، وكل ما وصل إليه يهدف من خلاله القضاء على الشرق.

ولا يغفل البحث عن الكناية ودورها في تقوية خصوصية التهديد؛ في قوله" لِوَضْعِكَ يَا شَرْقُ فِي المِرْجَلِ" فهو كناية عن القضاء عليه، والانتهاء منه، فآخر ما يؤول إليه الطعام؛ أن يُوضع في القِدر، وهذا كناية عن رغبة الغرب في الإجهاز على الشرق، ورغبته في إذاقته ألوان العذاب، وهذا منتهى التهديد والتحذير.

---

(١) قراءة في الأدب القديم، أ. د. محمد أبو موسى، صـ ٥٣، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة.

وقد أظهرت الكناية نوايا الغرب، وأفشت غرائزه، وكشفت مؤامراته، وأفصحت عن التهديد في نمط بليغ قوي، فالغرب لا يريد مجرد القضاء على الشرق، وإنما يريد أن يذيقه من ألوان العذاب، فالقِدر يوضع فيه الطعام، ولا شك أن درجة الغليان تزداد وتزداد بالتدريج حتى ينضج الطعام ويصلح للأكل، فهذا الغليان حينما يوضع فيه الإنسان لا شك أنه سيتألم ويتعذب ويتضاعف عذابه وألمه تدريجيا ويرجو الخلاص في كل ثانية ولحظة من شدة ألمه وعذابه، وهذا ما يريده الغرب؛ أن يقضي على الشرق بالتدريج ويعذبه ويذيقه أمرّ مذاقات العذاب قبل القضاء عليه.

وهذا كله أفصحت عنه الكناية، فهي كما قال عنها الإمام عبد القاهر" إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تُلْقِه إلى السامع صريحاً، وجئتَ إليه من جانبِ التعريضِ والكنايةِ والرمزِ والإشارة، كان له من الفضلَ والمزيَّة، ومن الحسْن والرونق، ما لا يقلُّ قليلُه، ولا يُجْهَلُ موضِعُ الفضيلةِ فيه، وتفسيرُ هذه الجملةِ وشرحُها: أنهم يرومون وصْفَ الرجل ومدْحَه، وإثباتَ معنًى من المعاني الشريفةِ له، فيَدَعونَ التصْريحَ بذلك، ويُكَنُّونَ عن جَعْلها فيه بِجَعْلها في شيءٍ يَشْتمِلُ عليه وَيتَلبَّس به، ويتوصَّلون في الجملة إلى ما أَرادوا من الإثباتِ، لا من الجهةِ الظاهرةِ المعروفةِ، بل من طريقٍ يَخْفى، ومَسْلكٍ يَدِقُّ" . (١)

الموضع الثاني: ورد على لسان الشرق يرد على التهديد والتحذير ويتصدي لكل ما قاله الغرب، فقال:

أَفِقْ أيّهَا الغَرْبُ إنّا صَحَوْنَا	**وَلَاحَ الصّبَاحُ وَبَانَ الطّرِيقْ**
سَنَزْحَفُ نَارًا إلَى مَا أرَدْنَا	**أخِي لَا تَكُنْ فِي لَهِيبِي الحَرِيقْ**
سَنَمْضِى بِحَارًا إلَى مَا ابْتَغَيْنَا	**أخِي لَا تَكُنْ فِي بِحَارِي الغَرِيقْ**

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٣٠٦.

أفِقْ أيّهَا الغَرْبُ إنّا انْتَفَضْنَا زَلَازِلَ تَغْشَاكَ حَتّى تَفِيقْ
فَتُبْصِرُ عَيْنَاكَ أنّ الأسِيرَ رَمَى قَيْدَهُ فَهُوَ حُرّ طَلِيقْ

ويلمح البحث أن الشاعر أسّس لخصوصية التهديد والتحذير؛ أسلوب التشبيه وجعله أسلوبا رئيسا، ثم أتى بما يدعم ويقوي تلك الخصوصية من أساليب أخر، فبدأ بانتفاضة الشرق وردّه على تهديد الغرب في قوله" أفِقْ أيّهَا الغَرْبُ" وهو أمر للتهديد والتحذير، فالشرق يقول للغرب: أفق فإنا انتفضنا وتحركنا تحركا شديدا كتحرك الزلازل في شدته، حتى أصبحت يا غرب في غشية من هذا الانتفاض والتحرك الشديد، وستتأخر في الإفاقة من هذا الأمر.

كما تعاون التأكيد مع التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ في قوله" إنّا صَحَوْنَا" وهو خبر جاء مؤكدا؛ ليدعم التهديد والتحذير الموجه للغرب، وذلك لأن المقام مقام إنكار، فالغرب ينكر ذلك أشد الإنكار، ويعتقد أن الشرق تحت قبضته وسيطرته، وأنه وحش الوحوش، وأنه فاتك لا يغلبه أحد، والشرق في موطن ضعف، وموضع عجز؛ لذا جاء الخبر مؤكدا دفعا للإنكار؛ وليثبت أيضا الشرق يقينه بما يقول، وثبوت ذلك في نفسه، فالشرق قد هبّ وانتفض وثار فلا أحد سيقف أمامه.

وقد تضافرت الاستعارة مع التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ في قوله" إنّا صَحَوْنَا" فاستعار الصحو وهو" ذهابُ الغيْم" . [1] لما فعله أبناء الشرق من هبّة وانتفاضة ومقاومة... للغرب، بجامع الضياء والنور والتغيير في كل.

والشاعر أخرج الاستعارة مخرجا رائعا، إذ كشفت عن ما بذله أبناء الشرق من انتفاضة، كما أظهرت ما حققوه من انتصارات، فقد أزالوا مظالم الغرب، فانقشعت وولّت وظهر الضياء والنور، كما أن الاستعارة جعلتنا ندرك مقدار أفعال الغرب التي فعلها، فقد أكثر من المظالم، وقد تجاوز الحدود فيها، كالغيم حينما يُغطي السماء

(١) تهذيب اللغة ٥/ ١٠٤.

ويحجبها، ويحجب معه الضياء والنور؛ فقام الشرق بانتفاضته؛ فكانت بمثابة النور والضياء الذي أزال الظلام، وكشف الغمة؛ فلاح الصباح وبان الطريق. وهذا ما أدركناه من خلال الاستعارة. ذلك أن" وظيفة الاستعارة ليست وظيفة تهدف إلى تقريب صورة الشيء، أو حتى تجسيده، وإنما إدراكه" . (١)

والاستعارة توضح أيضا قوة أبناء الشرق وما فعلوه ضد الغرب، فكان صحو أبناء الشرق صحوا لكل بلدانه، فذهاب الغيم وانجلاء السماء وظهور الضياء يعم الكون بأكمله، وهذا ما فعله الشرق؛ فقد صحا وأزال ظلام الغرب، وعمّ الضياء والنور في كل بلدانه ونواحيه وحدوده، وصار الغرب لا مكان له، ولا قدرة له، وانقشع كما ينقشع الغيم.

وقد تقوت الاستعارة وزادت بيانا في إفادة التهديد؛ من خلال الكناية في قوله" وَلَاحَ الصّبَاحُ وَبَانَ الطّرِيقْ" وهي كناية عن صفة الظهور والعلو، وزوال الظلمة، وانقشاع الغمة، وحلول النور، وبيان المستقبل... ، فالغرب كان قد غشّى على كل هذا، وقد أصاب الشرق في مستقبله وتقدمه ونهضته... من خلال مظالمه التي فرضها، فهبّ الشرق وثار وانتفض... ؛ فلاح الصباح وبدا النور.

ثم انتقل الشاعر وقال على لسان الشرق يخاطب الغرب:

سَنَزْحَفُ نَارًا إِلَى مَا أَرَدْنَا أَخِي لَا تَكُنْ فِي لَهِيبِي الحَرِيقْ

سَنَمْضِى بِحَارًا إِلَى مَا ابْتَغَيْنَا أَخِي لَا تَكُنْ فِي بِحَارِي الغَرِيقْ

أول ما يُبهج البحث في هذا البيت؛ هو قيمة وقامة الشرق القتالية من جهة، والأخلاقية من جهة أخرى، فقوله" سَنَزْحَفُ نَارًا... " يكشف قوته وعزته وعتاده وعزيمته التي لا تُقهر، وقوته التي لا تنثني. وقوله في الشطر الثاني" أَخِي لَا تَكُنْ...

(١) الصورة والبناء الشعري، تأليف. محمد حسن عبد الله، صـ ١٥٥ .

" يكشف أخلاق الشرق، فالموطن موطن قوة وانتفاضة وثورة... ، بيد أن الشرق لا يعرف الهمجية والوحشية والاعتداء... على الضعيف؛ لذا نادي الغرب بلفظ" الأخوة" وهذا غاية في الأخلاق.

وقد أسس الشاعر لخصوصية التهديد الصورة التشبيهية؛ في قوله" سَنَزْحَفُ نَارًا" فشبه الشاعر انتفاضة وثورة أبناء الشرق؛ بالنار في سرعته وقوته وشدته.

ولا يخفى ما للصورة التشبيهية من قيمة عالية في إثبات قوة الشرق، وانتفاضته السريعة، وزحْفه الذي لا يصده شيء، فمما هو معلوم أن النار حين تشتعل وتنطلق تأتِي على كل ما يقابلها، والأشياء التي لا تحترق كليا منها؛ يصيبها لهيبها ولظاها الحارق. وهذا يشي بمدى ما بلغه الشرق من قوة، فسيزحف كالنار في سرعتها، فعلى الغرب أن يبتعد من طريقه؛ حتى لا يحترق أو يصيبه اللهيب.

والتشبيه يعكس قوة الشرق، والتهديد القوي، والتحذير الشديد لكل من يقف أمامه، كما يجسم التشبيه صورة تعج بالسرعة والتماسك بين صفوف أبناء الشرق، فالنار كما هي سريعة حارقة ملتهبة؛ كذا هي متماسكة تكون كتلة واحدة لا تنفصل ولا تتجزأ، فالشرق هكذا سيزحف في صفوف قوية متماسكة لا تتفرق؛ فلا يستطيع أحد أن يفرقه، أو أن يسيطر عليه، فعلى الغرب أن يحذر وينتبه.

وقد استطاع الشاعر أن يحقق التآزر بين أطراف الصورة، ويمد بينها خيوط النسج المحكم، رغم بُعد الشبه بين زحف أبناء الشرق وبين النار؛ لكن الشاعر حقق التآلف بين الطرفين، وصوّر الصورة التي عليها أبناء الشرق في صورة مليئة بالانفعال والحركة وتحمل التهديد الثقيل والردع الأمثل للغرب. ذلك أن" التشبيه ينبل موقعه وتسمو قيمته ويجل تأثيره ويثير الطرب والإعجاب في النفوس ويحرك منها كوامن الاستحسان والاستطراف بقدر تصويره الشيئين البعيدين قريبين، والمختلفين المتباينين

مؤتلفين؛ لأن ما يخرج من غير معدنه وينبت في غير أرضه ويتفرع من غير جنسه يبعث البهجة ويستفز العاطفة ويوقظ الانفعال" . (١)

وقد تعاون التقديم مع التشبيه في تأسيس خصوصية التهديد؛ في قوله" أخِي لَا تَكُنْ فِي لَهِيبِي الحَرِيقْ" فقدم المتعلق على المفعول به، والمراد بالحريق هنا المحروق، ذلك أن" فعيل يقع اسما للفاعل، ويقع للمفعول، فأما الفاعل فمثل رحيم وعليم وحكيم وشهيد، وأما ما كان للمفعول فنحو جريح وقتيل وصريع" . (٢) فالشرق يريد أن يقول للغرب لا تكن أنت المحروق في لهيبي، وتقديم المتعلق يدل على عِظم اللهيب وشدته وقوته، كما يشير تقديم المتعلق إلى القوة والعزيمة التي اتصف بها الشرق، فلهيبه متقدم يحرق كل من يقف أمامه، كما يكشف التقديم عن عظمة هذا اللهيب وانتشاره وشدة وقْعه على من يصيبه؛ لذا كان أولى بالتقديم حتى يتحقق التحذير، وهذا أمكن في التهديد.

ثم انتقل الشاعر يؤسس لخصوصية التهديد؛ فتخير صورة تشبيهية أخرى في قوله" سَنَمْضِي بِحَارًا..." فشبه المُضي الذي سيفعله الشرق في سرعته بالبحار، بجامع الشدة والسرعة والتماسك والكثافة ... في كل، والتشبيه يبرز شجاعة الشرق وقوته وسرعة انتفاضته وثورته، وكذلك التقليل من شأن الغرب؛ لأن المُضي والانطلاق الذي سيفعله الشرق كالبحار في سرعتها وكثافتها وشدتها، فالغرب لم يستطع ولن يستطيع أن يتصدي لهذا المضي.

وقد بلغ الشاعر غاية الإجادة والحسن والتوفيق في صورته، لأن هذا التشبيه يجعل الشرق متماسكا قويا لا يُعتدي عليه، وكل من يحاول النيل منه سيهلك ويغرق،

---

(١) فن التشبيه، تأليف. د. علي الجندي ٢/ ٢٣، طبعة/ مكتبة نهضة مصر، القاهرة، طبعة/ أولى١٩٥٢م.

(٢) الكامل في اللغة والأدب للمبرد، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم، صـ ١٢٤، طبعة/ دار الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية ١٩٩٨م.

كما أن الشرق امتلك كل صفات الدفاع والقوة والعزيمة والإرادة... ، فهو الآن تأهب كل التأهب للوقوف والتصدي لكل من يحاول أن يعتدي على حقوقه، أو ينال من مقدراته، فهو كالبحار التي من لا ينتبه لنفسه فيها يغرق، وكل هذه المعاني المستوحاة من التشبيه وهذا أجل في التهديد، وأشد في التحذير، وأقوى في التوعد.

ولعل أروع ما يمتاز به الشاعر هنا؛ أنه يسوق معانيه في نسق بالغ الدقة، فبنى تشبيها على تشبيه؛ كي تتعانق الصور وتنمو الدلالات في النفس، ويزداد التهديد، ويقوي التحذير، فشبه الزحف الصادر من الشرق أولا بالنار، ثم شبه المُضي بالبحار؛ وهذا أبلغ في إثبات قوة الشرق، وأدخل في بيان تقدمه، وأعلى في إظهار تماسكه، وأميز في الحرص على التصدي لكل معتد، وأكمل في النص على عزمه وانتفاضته ووحدته وترابطه، وهذا من صنعة الشاعر، وحسن إتقانه، وإبداعه في معناه، وإخراجه في رونق حسن مكتمل. ذلك أنه" وَاجِبٌ على صَانِعِ الشعرِ أنْ يَصنْعَهُ صَنْعَةً مُتْقَنَةً لَطِيفَةً مَقْبُولَةً مُسْتَحْسَنةً مُجْتَلِبَةً لمحبَّةِ السَّامِع لَهُ والنَّاظِر بِعَقْلِهِ إِلَيْهِ، مُسْتَدْعِيَة لعِشْقِ المُتَأمِّل فِي محاسِنِه والمُتَفَرِّسِ فِي بدائعه، فَيُحْسِنُهُ جِسْماً ويُحَقِّقُهُ رُوحاً؛ أَي: يُتْقِنُهُ لَفْظاً ويُبْدِعُهُ مَعْنَى .... " . (١)

ثم ختم الشاعر قصيدته بقوله على لسان الشرق يخاطب الغرب:

أفِقْ أيّهَا الغَرْبُ إنّا انْتَفَضْنَا زَلَازِلَ تَغْشَاكَ حَتّى تَفِيقْ

فَتُبْصِرُ عَيْنَاكَ أنّ الأسِيرَ رَمَى قَيْدَهُ فَهُوَ حُرّ طَلِيقْ

ختم الشاعر القصيدة بصورة تشبيهية تؤسس بشدة لخصوصية التهديد؛ في قوله" زَلَازِلَ تَغْشَاكَ حَتّى تَفِيقْ" الزلازل هي" الشدائد والأهوال" . (٢) فشبه الشاعر انتفاضة الشرق وثورته وهبّته ومضيه... شبهه بالزلازل بجامع القوة والشدة في كل.

---

(١) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، ١ / ٢٠٣.

(٢) تهذيب اللغة، ١٣/ ١١٦.

والتشبيه هنا يجمع كل ما مر في التشبيهات السابقة، فزحف الشرق الأشبه بالنار، ومضيه الأشبه بمضي البحار، كل هذا يُجمع هنا في التشبيه بالزلازل، فالزلازل تتضمن الشدائد والأهوال، فالشرق يتوعد الغرب ويهدده ويحذره من الشدائد والأهوال التي لن يطيقها.

وحتى يعطي التشبيه ثمرته المرجوة لم يقف الشاعر عند حد التشبيه بالزلازل، وإنما آثر تقييد المشبه به ليحقق مزيدا من التهديد والوعيد، فقيده بالوصف في قوله" تَغْشَاكَ حَتّى تَفِيقْ" والتقييد بالجملة الفعلية؛ يدل على تجدد تلك الزلازل، وتكرار حدوثها، واستمرار تأثيرها، وهذا يزيد من قوة الشرق، وهذا أدعى إلى أن يحذر الغرب ويفيق من غفلته؛ حتى ينجو من تلك الزلازل.

ويتجلى ما ينسجه التشبيه من خيوط حريرية من خلال اختيار الشاعر لصورة الزلازل، فهي معروفة بشدتها وقوتها وفزع الناس حين يسمعون بها في أي مكان، فما بالنا حينما تكون موجهة ومعلوما طريقها التي تقصده!! ، وهذا ما تجلى من خلال الإيغال بالقيد في قوله" تَغْشَاكَ حَتّى تَفِيقْ" فهذه الزلازل ستغشى الغرب وتداهمه وتصيبه، فهو مقصدها وغايتها، وهذا تهديد رادع، وتحذير قاطع، وتوعد حازم من الشرق.

ثم زاد من التهديد والتوعد والتحذير، وكذا من هوْل الموقف وشدته ووقعه على الغرب؛ باختيار صيغة الجمع" زَلَازِلَ" ؛ ليدل على عِظم وهول وخطر وشدة... ما ينتظر الغرب من أبناء الشرق، فليس زلزالا سيصيبه ويولي، وإنما زلازل كثيرة متلاحقة. ومِثل هذه المبالغة والشرح والتفصيل في الصورة يجعلها تحقق غايتها، ويزيد تأثيرها في نفس المتلقي. ذلك أن" الصورة تساهم في عملية إقناع المتلقي والتأثير فيه عن طريق شرح المعنى وتوضيحه، وأنها تحقق الغاية نفسها عن طريق المبالغة في المعنى، والصلة بين المبالغة والشرح والتوضيح صلة وثيقة، ذلك أن المبالغة تعد

وسيلة من وسائل شرح المعنى وتوضيحه عندما يراد بها مجرد تمثيل المعنى أو تأكيد بعض عناصره المهمة" . (١)

وقد تآزر الأمر والنداء مع التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ في قوله" أَفِقْ أَيّهَا الغَرْبُ إنّا صَحَوْنَا" والأمر يدل على قوة الشرق التي بلغها، ورغبته في وضع الغرب عند حدوده، وإيقافه عن أفعاله، وتعقيب الأمر بالنداء؛ يدل على حاجة الشرق إلى أن يستحضر يقظة الغرب، ويخرجه من غفلته، ويلفت ذهنه نحو ما يقول، حتى لا يصيبه لهيب الشرق، وحتى ينجو من انتفاضته وهبّته وثورته، وهذا غاية التهديد والتحذير.

كما تعاون المجاز مع التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ في ختام القصيدة حين قال" فَتُبْصِرُ عَيْنَاكَ أنّ الأسِيرَ..." وهو مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، فالذي يبصر هو الشخص نفسه، أما العين فيقع منها الإبصار. وقد أفاد المجاز بروز الشرق، وظهور تقدمه، وعلو رايته، وشدة انتفاضته وهبّته؛ حتى بات الغرب في دهشة وذهول مما حدث، وصار ما أحدثه الشرق على مرأى ومسمع وبيان بين الشعوب، فأي مبصر سيرى ما فعله الشرق، ومن ثم أبصر الغرب ذلك، ووقعت عينه عليه، فلا مجال لإنكاره أو دفعه، وهذا أعلى في التهديد والتحذير.

كما أن المجاز يدل علي رغبة الشاعر في إبراز ما أحدثه الشرق في صورة قوية، يبصرها كل مبصر، وتقع العين عليها سريعا، كما لا يخفى ما يحمله المجاز من الإثارة والإلهاب حول مكانة الشرق التي بات يبصرها الغرب عيانا بيانا ولا يستطيع أن يقف أمامه كما كان يدعي ويتوهم. وهذا ما كشفه المجاز، ذلك أنه كنز

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، صـ ٣٤٣ بتصرف.

من" كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طريق البيان" . (١)

هذا: وقد تضافرت الاستعارة التمثيلية مع التشبيه في تقوية خصوصية التهديد؛ في قوله" أنّ الأسِيرَ رَمَى قَيْدَهُ" فصورة الأسير تُصور ما كان عليه الشرق من قبْل، حيث كان محتلا أسيرا يسيطر عليه الغرب، ويجعله تابعا له، يفرد عليه بطشه وهيمنته؛ فرمي الأسير القيد، وتحرر من سيده، وهذا ما فعله الشرق من تحرر وهبّة وثورة وانتفاضة... ضد الغرب.

وتُظهر الاستعارة أن الشرق تعدّى وتجاوز مراحل الهيمنة التي فعلها الغرب، فلم يعد أسيرا كما كان، ولم يعد ضعيفا يسيطر عليه الغرب، فقد انتفض وثار ورمى قيده، وانطلق نحو حريته، وانطلق يصنع مستقبله، فالشرق أبى أن يخضع؛ فرمى قيده، وتصدى لمن يأمره، وانتفض وصار حرا طليقا، وهذا أعلى في التهديد والتحذير. وهذه المعاني الغزيرة كشفتها الاستعارة. ذلك أنها" تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعاً من الثَّمر" . (٢)

والاستعارة تعكس عدة جوانب حول ما فعله الشرق وأثبته، وتُقوي من التهديد والتحذير الموجه للغرب، فانظر إلى حال الأسير، وما أخبر عنه الشاعر حين قال" رَمَى قَيْدَهُ" فهذا الأسير لم يتحرر بواسطة أحد، أو يترك أسره ويفِر، وإنما انتفض وهبّ وقاوم ورمى قيده بنفسه. إنها استعارة جليلة تُظهر قوة هذا الأسير، وقلبه الذي لا يعرف الخوف، فانطلق يثبت حريته بذاته، وهذا ما فعله الشرق، فقد هبّ وثار وانتفض، فمن أنت يا غرب حتى تقف في وجه من لا يعرف الخوف أبدا!! .

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٢٢٨.

(٢) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق. محمود شاكر ، صـ ٤٣.

كما تآزرت الكناية مع التشبيه في إثبات خصوصية التهديد؛ في قوله" رَمَى قَيْدَهُ فَهُوَ حُرّ طَلِيقْ" كناية عن صفة التحرر وعدم التبعية وعدم الانقياد... ، وتخلص الشرق من كل هذا، فهو حر طليق، يدير كل أموره بنفسه، ويتقدم وينهض ولا يسيطر أحد عليه، ولا يدفعه أحد نحو ما يريد، ولا يُملي أحد عليه ما يصنع، فهو قوي متقدم مسيطر حر طليق. وهذا ما عبّرت عنه الكناية، يقول الإمام عبد القاهر" إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تُلْقِه إلى السامع صريحاً، وجئتَ إليه من جانبِ التعريضِ والكنايةِ والرمزِ والإشارة، كان له من الفضلَ والمزيَّة، ومن الحسْن والرونق، ما لا يقلُّ قليلُه، ولا يُجْهَلُ موضِعُ الفضيلةِ فيه" . (١)

كما تشابك الإيغال مع خصوصية التهديد وقوّي منها؛ في قوله" فَهُوَ حُرّ طَلِيقْ" فعندما قال" أنّ الأسِيرَ رَمَى قَيْدَهُ" تم المعنى وتبين أن الشرق نهض وتحرر وانطلق متقدما لا يسيطر عليه الغرب ولا يهيمن، فالأسير قد تخلص من رِق العبودية والانقياد والتبعية... ، فجاء قوله" فهو حر طليق" ؛ ليفيد تأكيد وتقوية أمر التحرر والانطلاق والتخلص من التبعية.

هذا: وقد اختتم الشاعر القصيدة بقوله على لسان الشرق يخاطب الغرب:

فَتُبْصِرُ عَيْنَاكَ أنّ الأسِيرَ رَمَى قَيْدَهُ فَهُوَ حُرّ طَلِيقْ

والمتأمل المدقق النظر في هذا البيت؛ يجد أن البيت يُعد من" حسن الانتهاء" ، فلما أجرى الشاعر الحوار بين الشرق والغرب، وبدا تعالِي الغرب وتباهيه وفخره واعتزازه... بنفسه، ووصف نفسه بالعديد من الأوصاف، ثم خاطب الشرق بخطاب مليء بالتهديد والقوة والبطش... ؛ استدعى ذلك أن يرد الشرق ويتصدي لذلك، فردّ على تهديد الغرب، وتصدى له وحذّره بشدة؛ فجاء ختام الشاعر بهذا البيت الرائع بعد

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٣٠٦.

أن أظهر الشرق قوته، وأثبت قدرته، وأظهر مكانته؛ ليكون ـ البيت ـ ردا كافيا، وردْعا قويا، وتهديدا وزجرا وافيا للغرب.

وهذا يعد من حُسن صنعة الشاعر، وقد اتفق النقاد على أن الشاعر لابد أن يختم كلامه بأحسن خاتمة، ذلك أنه" ينبغي لكل بليغ أن يختتم كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتم فإنها آخر ما يبقى على الأسماع، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها، فلا جرم وقع الاجتهاد في رشاقتها وحلاوتها، وفى قوتها وجزالتها، وينبغي تضمينها معنى تاما يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية، ولهذا قال عليه السلام" ملاك العمل خواتمه" وفي حديث آخر" لا تعجبوا بعمل أحد حتى تدروا بم يختم له" فالخاتمة في كل شيء هي العمدة في محاسنه، والغاية في كماله" . [1]

(١) الطراز للعلوي ٣ / ١٨٢.

الخاتمـــة

الحمد لله على ما يسر وأعان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، صلي الله عليه وعلي آله وأصحابه وجمعني والمسلمين معهم في ظلال الجنان.

وبعـــــد:.

فهذا ما جري به القلم شرحا وبيانا للخصوصيات المطّردة للأساليب في قصيدة" حوار بين الشرق والغرب" للشاعر الأسمر، وبفضل الله وتوفيقه تمت تلك الدراسة، وفي النهاية لا أدعي في عملي الكمال، فإنما أنا بشر أصيب وأخطئ، وما هذا العمل إلا اجتهاد أتلمس به الخطى للسير على درب مشايخي، والله من وراء القصد .

وفي الخاتمة أكشف عن أهم النتائج المستفادة من هذه الدراسة، وهي كالآتي:.

أولاً ـ من حيث الشاعر: كشفت القصيدة أن هناك شعرا عربيا حديثا اتسم بالبلاغة والفصاحة والروعة والجمال... ، ومحاط بالخصوصيات المفعمة بالأساليب والتراكيب والدقائق... التي تُظهر ذوق قائله وإحساسه وعاطفته وشعوره... تجاه الأحداث من حوله. وقد تحدث الأسمر عن مثل هذه الأحداث التي تدور في الوطن، وهذا النوع من الشعر يعد وصفا تاريخيا يمكن الاعتماد عليه عند إرادة معرفة الأحداث التي مرت بها البلاد، إذا راعى الشاعر فيه جانب الصدق ووصف الحقائق كما فعل الأسمر في قصيدته.

ثانيا ـ من حيث القصيدة: كشفت القصيدة الهدف الذي يسعى إليه الغرب، ألا وهو القضاء على كل أبناء الشرق، كما كشفت لنا ما عليه الغرب من صفات لا تمت للإنسانية بصلة، فهو يستخدم هذه الصفات للقضاء على الشرق بأكمله؛ لذا ينبغي أن ينتبه كل أبناء الشرق، فالكثير من أبناء الشرق أرباب العلم والثقافة والعقول النابغة... ؛ يتركون بلادهم ويذهبون إلى الغرب، فيستفيد الغرب من ثقافتهم

وعلمهم ونبوغهم، ويستخدم ذلك كله للقضاء على هم، فهم يفيدون الغرب ليقضي على هم بعد ذلك؛ فيجب أن يستغلوا كل طاقاتهم وثقافاتهم لخدمة بلادهم ولتنمية وطنهم.

ثالثاً ـ من حيث الخصوصيات والأساليب الداعمة لها: استخدم الشاعر الكثير من الأساليب البلاغية، والتي كان لها دورها في إبراز الخصوصيات، وقد اختلفت هذه الأساليب فيما بينها على حسب ما يستدعيه ويتطلبه سياق الكلام.

١ـ في خصوصية الإنكار أسس الشاعر أسلوب الاستفهام وأسلوب القصر ثم أتى بأساليب أخر تدعمهما؛ وذلك لما يحمله الأسلوب الاستفهامي الإنكاري ـ في قول الشرق" مَاذَا جَرَى" ـ من الإنكار القوي، وتعظيم أمر الأحداث التي صدرت عن الغرب. كما أن أسلوب القصر ـ في قول الشرق" لَسْتَ إلّا شَقِيقًا سَكِرْ" ـ ؛ أفاد المبالغة في توجيه الإنكار لكل ما قاله الغرب وأخبر به عن نفسه، فضلا عن توجيه اللوم والهجاء والذم والسخرية... من قِبل الشرق. كما أنه جعل الحوار مُحاطا بالتشويق والإثارة والإلهاب... ، وتقريب الكلام إلى المتلقي؛ نظرا لما يفعله القصر من تقرير الكلام في ذهن المتلقي وتحديده تحديدا واضحا.

٢ـ في خصوصية الإقناع أسس الشاعر أسلوب الاستفهام ثم أتى بأساليب أخر تدعمه؛ وذلك لقوة الاستفهام التقريري ـ في قول الشرق" أَلَمْ أُعْطِكَ... " ـ على حمْل المخاطب على الإقرار بمضمون الخبر؛ لأنه الأنسب لمقام المناظرة الذي يتسابق فيه كل فريق لإقامة الحجة على الآخر، ولحمْل الغرب على الإقرار بفضائل الشرق وعدم إنكارها. ذلك أن" الغرض البياني من الاستفهام التقريري إلزام المخاطب بالحجة، وانتزاع الاعتراف منه بما يريد المتكلم، وفي ذلك غرض نفسي، وذلك لأن البيان والبلاغة لهما صلة وثيقة بقضايا النفس وبعلم النفس كذلك" . [١]

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ـ علم المعاني، د. فضل حسن عباس، صـ ٢٠٠، طبعة/ دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة/ ثانية ١٩٨٦ م.

٣- في خصوصية التلطف أسس الشاعر الأسلوب الخبري ثم أتى بأساليب أخر تدعمه؛ وذلك لما يحمله الأسلوب الخبري من التخصيص والتأكيد، فجاء تعريف المسند إليه بالضمير في قول الغرب يخاطب الشرق" كُنْتَ الكَرِيم معِي" للتأكيد ولتهيئة المسند إليه لإجراء بعض الصفات عليه. وقوله" الكَرِيمَ " وصف للمسند إليه؛ بقصد تقوية مضمون الكلام وتأكيده، والاعتراف بالفضائل والعطايا والهبات التي قدّمها الشرق للغرب. كما جاء تعريف المسند إليه بالضمير الدال على الخطاب في قول الغرب" وَأَنْتَ أَبُو الأَنْبِيَاءِ" لبيان الإقرار والتأكيد والاعتراف من الغرب بفضائل الشرق، وهذا منتهى التلطف والتودد.

٤- في خصوصية التهديد والتحذير أسس الشاعر أسلوب التشبيه ثم أتى بأساليب أخر تدعمه؛ وذلك لما يحمله التشبيه البليغ من تصوير وتشخيص ومبالغة وقوة مشابهة؛ فتناسب مع رغبة الغرب في الفخر والاعتزاز بنفسه؛ فاستدعى ذلك أن يجيء المشبه به عنصرا حيوانيا جمَع صفات القوة والشراسة والفتك والنهم والخطف والنهش... وهو النمر في قول الغرب يخاطب الشرق" أَنَا نَمِرٌ" وهو تشبيه بليغ يفيد إثبات القوة والشدة والفتك... . كما تناسب التشبيه مع جواب الشرق على تهديدات الغرب، فكانت الصورة التشبيهية - في قول الشرق" سَنَزْحَفُ نَارًا" - ذات قيمة عالية في إثبات قوة الشرق، وانتفاضته السريعة، وزحْفه الذي لا يصده شيء.

وبعـــد:- فأسأل الله ﷻ أن ينفعني وينفع أولي العلم بهذا الشرح البسيط لقصيدة الأسمر، فإن كنت قد أصبت فهذا من فضل الله ﷻ، وإن أكون غير ذلك؛ فحسبي أنني بذلت طاقتي والكمال لله وحده. اللهم تقبل صالح أعمالنا، واغفر لنا تقصيرنا وزللنا، وتقبلنا في عبادك الصالحين إنك أنت أرحم الراحمين.

فهرس المصادر والمراجـــع

١ـ الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، أ. د. صباح دراز، طبعة/ مطبعة الأمانة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٨٦ م.

٢ـ أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، طبعة/ مطبعة المدني، القاهرة، طبعة/ أولى١٩٩١ م.

٣ـ الألوان البديعية، أ. د. حمزة الدمرداش، طبعة/ دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٨٠ م.

٤ـ البديع رؤية جديدة، د. عبد الله دراز ، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٥ـ بلاغة القصر دراسة نقدية تحليلية، أ. د. عبد العزيز أبو سريع ياسين، طبعة/ أولى ١٩٨٧ م.

٦ـ البلاغة فنونها وأفنانها ـ علم المعاني. د. فضل حسن عباس، طبعة/ دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة/ ثانية ١٩٨٦ م.

٧ـ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، طبعة/ الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ.

٩ـ التصوير البياني في شعر المتنبي، أ. د. الوصيف هلال الوصيف، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة/ أولى ٢٠٠٦.

١٠ـ تفسير ابن عرفة، ت. محمد التونسي المالكي، تحقيق. د. حسن المناعي، طبعة/ مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، طبعة/ أولي ١٩٨٦م.

١١ـ دراسة في البلاغة والشعر، أ. د. محمد أبو موسى، صـ ٦٩، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٩١ م.

١٢ـ دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، طبعة/ مطبعة المدني، القاهرة، طبعة/ ثالثة ١٩٨٤ م.

١٣ـ دلالات التراكيب دراسة بلاغية، ت. أ. د. محمد أبو موسى ، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة/ ثانية ١٩٨٧م.

١٤ـ ديوان الأسمر، طبعة/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

١٥ـ ديوان بين الأعاصير للشاعر. محمد الأسمر، طبعة/ دار الفكر العربي شركة فن للطباعة، القاهرة.

١٦ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، طبعة/ المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٢ م.

١٧ـ الصورة والبناء الشعري، د. محمد حسن عبد الله، طبعة/ دار المعارف، القاهرة.

١٨ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي، طبعة/ المكتبة العصرية، بيروت، طبعة/ أولى ١٤٢٣هـ.

١٩ـ عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، تحقيق. د. طه الحاجري، د. محمد زغلول سلام، طبعة/ المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٥٦ م.

٢٠ـ فن التشبيه، ت. د. على الجندي، طبعة/ مكتبة نهضة مصر، القاهرة، طبعة/ أولى١٩٥٢م.

٢١ـ قراءة في الأدب القديم، أ. د. محمد أبو موسى، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة.

٢٢ـ الكامل في اللغة والأدب للمبرد، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة/ دار الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية ١٩٩٨م.

٢٣ـ محمد الأسمر شاعرا وناثرا، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة للعام ١٩٧٦م، الباحث. بليغ محمود عبد الرحمن عرفة.

٢٤ـ معجم تاج العروس، ت. محمد بن عبد الرازق، الملقب بمرتضي الزبيدي، طبعة/ دار الهداية.

٢٥ـ معجم تهذيب اللغة، ت. أبو منصور الهروي، تحقيق. محمد عوض مرعب، طبعة/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة/ أولي ٢٠٠١م.

٢٦ـ معجم لسان العرب، ت. جمال الدين بن منظور، طبعة/ دار صادر، بيروت، طبعة/ ثالثة ١٤١٤هـ.

٢٧ـ معجم مختار الصحاح، ت. أبو بكر الرازي، تحقيق. يوسف الشيخ محمد، طبعة/ المكتبة العصرية، بيروت، طبعة/ خامسة ١٩٩٩م.

٢٨ـ المعجم الوجيز، باب/ الراء، مادة/ رجل، صـ ٢٥٧.

٢٩ـ المعجم الوسيط، ت. مجمع اللغة العربية، القاهرة، طبعة/ دار الدعوة.

٣٠ـ من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، د. حمزة الدمرداش زغلول، طبعة/ المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٨٨ م.

٣١ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية لتقي الدين أحمد بن على المقريزي، طبعة/ دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة/ أولي ١٤١٨هـ.

٣٢ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، ت. ٢٤٣/٩، طبعة/ دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، طبعة/ أولى١٤٢٣هـ.